مع مطلع القرن الحادي والعشرين ، وعلى الرغم من كل ما حققه الإنسان من التقدم الهائل في كافة الأصعدة والمجالات الحياتية ، من علوم وتكنولوجيا وثورة اتصالات ، لكن من المؤسف أن هذا التقدم الهائل لم يستطع أن يهدي البشرية إلى السلام والرفق والمحبة والألفة ، إذ تبقى هناك الكثير من مظاهر الهمجية والبربرية والعنصرية والجاهلية لازالت عالقة ومترسخة في النفس البشرية وكأنها تأبى أن تنفض عنها تلك المساوئ والمثالب رغم تغير الرداء الذي ترتديه ومن هذه المظاهر السلبية "العنف ضد المرأة" وهذا العنف هو "إرث ثقافي له تاريخ طويل يمتد إلى أيام الجاهلية الأولى حينما كان الرجل يفتخر بوأد الأنثى ، رمز الفضيحة والعار" .

ونحن اليوم في عالمنا العربي وإن كنا نعيش زمنياً في القرن الحادي والعشرين إلا أننا فكرياً وحضارياً بسبب موقفنا من المرأة ـ وبعض القضايا الأخرى ـ لازلنا نفكر بعقلية القرون الوسطى ، وإن كان الوأد قد انتفى اليوم بالمعنى الحرفي إلا أن وأداً جسدياً ونفسياً واجتماعياً مازال يطبق على المرأة بالمعنى المجازي للكلمة ، والذي يتخذ درجات متفاوتة من العنف ضدها .

عالمية وعمومية العنف ضد المرأة ... ولكن !!

مما لا يختلف عليه اثنان أن العنف ضد المرأة يكتسب بعداً عالمياً فهو يتجاوز كل الحدود الثقافية ، والدينية ، والمعرفية ، ويطال كل المجتمعات حتى المتحضرة منها ، فالمرأة في جميع دول العالم بلا استثناء تتعرض إلى العنف بكل أشكاله وأنواعه ، فهو ظاهرة تجد جذورها في الثقافة الذكورية التي تحيل المرأة إلى كائن دوني وتميز بينها وبين الجنس الآخر من منطلق عدم التوازن واللامساواة في السلطة بين الجنسين ، ويتم تبريرها بأسباب متعددة منها ضعف المستوى الاقتصادي والاجتماعي (البطالة ، الفقر ، .....) فالمرأة للأسف مقهورة ومضطهدة في جميع المجتمعات بلا استثناء .

ولقد تأسس البيت القديم في الشرق والغرب على ضياع شخصية المرأة في شخصية الرجل فهي في الغرب ما تكاد تتزوج حتى تصبح تبعاً لزوجها .. فتخسر حتى اسمها الذي تحمله منذ الولادة لتصبح (مدام فلان) في المجتمع ولا تحتفظ بذلك الاسم إلا على سبيل التذكرة والهواية كأنه من الآثار المعدومة .. ويندمج ما تملك فيما يملك زوجها ، الذي له وحده حق التصرف بالملك المشترك !!! أما في الشرق فحظ المرأة أقل إذ تكاد تكون بالنسبة إلى رب البيت قطعة من أثاث فاخر له أن يغيرها متى شاء وأن يهجرها في المخدع إذا شاء !! فالزوج في الشرق هو السيد المطلق في بيته تذوب شخصية الزوجة في شخصيته وتنصهر إرادتها في إرادته ، قد يعاني في الخارج ألواناً من الاضطهاد بسبب متاعب العمل حتى إذا

ما اجتاز عتبة داره ودخل مملكته الخاصة إذ به يستعيد أنفته وكبرياءه .. فرغبته أمر ! وإيماءته نهي .. وقديماً قيل . إن جحا لا يقدر إلا على مراته !

والحقيقة أن الإنسان ابن بيئته يتعلم سلوكياته من المجتمع الذي يولد فيه ، يتلقى تعليمه في كافة المراحل الدراسية بأسس وأصول مبرمجة مسبقاً قد تم أخذها من كتب التراث والدين الذي ينشأ عليه كل إنسان ، هناك مئات بل آلاف من المقالات تتمركز حول العنف ضد المرأة ، وفيها شواهد عديدة مستقاه من الواقع الذي يعيش هؤلاء الكتاب أصحاب المقالات ، نعم ، ولكن يجب التركيز على النقطه الأساسية التي ينبثق منها العنف والنظرة إلى المرأة ، ما هي ؟ هي التعاليم التي تربينا عليها ، التعاليم التي أفسدتنا فكرياً وجعلتنا نؤمن بأن المرأة في أقل المراتب وأن معاملتها بهذه الطريقة هي القربة إلى الله ، التعاليم التي جعلتنا نصل إلى مرحلة ميئوس منها باللحاق والوصول إلى العالم المتحضر الذي تعيش فيه المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل ، لكل حقوقه ولكل واجباته دون أي تفريق .

لقد وجد الطامعون في امتلاك هذا الملاك حجة قوية في بعض النصوص الدينية التي قدمت المرأة بمنزلة ثانية أقل من منزلة الرجل ، بل اجتهدوا وتفننوا في تفسير النصوص وأضافوا عليها مزاجهم تحت عنوان التقاليد والتراث الذي لا يمس ، لأن مسه هو مس للهوية الشخصية وذهبوا إلى أبعد من هذا بكثير ، فربطوا أخلاق المجتمع "ذكوراً وإناثاً" بالمرأة ، فالمرأة هي شرف العائلة ولا يجوز تجاوز الخطوط الحمر المرسومة اجتماعياً لأن ذلك يعني انتهاكاً لشرف العائلة رجالاً ونساء ، أما الرجل فهو برئ من كل ذلك ، لأن سلوكه لا يعيبه ولا ينقص من قدر وقيمة العائلة ، أصبحت المرأة في مجتمعاتنا عاراً على أهلها ، فكانوا يبكون لولادة البنت ويقيمون الأفراح والليالي الملاح لقدوم المولود الذكر ، لأن البنت كانت تمثل عبئاً على عائلتها من الصعب تحمله ، فكل سلوكياتها هي موضع شك وارتياب ، وهي مدانة مسبقاً ، وفي كل حادثة تجري تكون المادنة من قِبل المجتمع ، لذلك وخوفاً من تورم هذا الضغط وانفجاره ، تم الحجر عليها لتستريح وتريح ، فحجبوها ونقبوها وأغلقوا عليها الأبواب ، وللتخلص منها مبكراً شرعوا الزواج المبكر لها دون رأيها وعلمها وقبل بلوغها الجسدي والعقلي ، وتركوها تصارع أهوال الحياة طفلة لا تعرف من الحياة شيئاً .

إن أسباب العنف ضد المرأة أو ضرب المرأة واضحة ، وهي من أجل تحقيق أسطورة التفوق الذكوري على الأنتوي فالرجال غالباً ما يمارسون سلطة العنف مع النساء من أجل إثبات أنهم أقوياء وأنهم رجال أشداء متميزون عن الإناث ، وبذلك يحقق الذكر هذه الأسطورة وتصبح حقيقة واقعة حين يرى نفسه فعلاً متفوقاً على المرأة وأن الله خلقه منذ البداية متفوقاً وإنه كان دائماً متفوقاً على المرأة من أيام ابيه وجده وجد جده .

نخلص مما تقدم إلى أن "العنف الجسدي والنفسي والجنسي ضد المرأة منتشر في كل أنحاء العالم ، تستوي في ذلك البلدان المتقدمة والبلدان النامية .

العنف ... المعنى والمدلول اللغوي

العنف في معناه اللغوي ضد الرفق ، فالعنف في اللغة : هو كل قول أو فعل ضد الرأفة والرفق واللين .

والعنف كما عرف في النظريات المختلفة : هو كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين ، قد يكون الأذى جسمياً أو نفسياً .

وفي إطار التشريعات الجنائية ، تصدى فقهاء القانون الجنائي لتعريف العنف في إطار نظريتين تتنازعان :ـ

النظرية التقليدية : حيث تأخذ بالقوى المادية بالتركيز على ممارسة القوة الجسدية .
النظرية الحديثة : التي لها السيادة في الفقه الجنائي المعاصر فتأخذ بالضغط والإكراه الإرادي ، دون تركيز على الوسيلة ، وإنما على نتيجة متمثلة في إجبار إرادة غيره بوسائل معينة على إتيان تصرف معين وعليه ، فإن تعريف العنف في التشريعات الجنائية : هو كل مساس بسلامة جسم المجنى عليه ، من شأنه إلحاق الإيذاء به والتعدي عليه .

العنف من منظور اجتماعي

يعرف العنف بأنه : الإيذاء باليد أو باللسان ، بالفعل أو بكلمة ، في المجال التصادمي مع الآخر ولا فرق في ذلك بين أن يكون فعل العنف والإيذاء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي فلا يخرج في كلتا الحالتين عن ممارسة الإيذاء ؛ سواء باللسان أو اليد . فالعنف سلوك أيذائي قوامه إنكار الآخر كقيمة متماثلة للأنا أو للنحن ، كقيمة تستحق الحياة والاحترام ، ومن مرتكزه استباعد الآخر عن حلبة التغالب ، إما بخفضه إلى تابع ، وإما بنفيه خارج الساحة (إخراجه من اللعبة) وإما بتصفيته معنوياً أو جسدياً (إذن معنى العنف الأساسي في المنظور الاجتماعي والسوسيولوجي هو عدم الاعتراف بالآخر، رفضه وتحويله إلى الشئ المناسب للحاجة العنيفة)

وتعرف موسوعة الجريمة والعدالة العنف بأنه : يشير إلى كل صور السلوك ؛ سواء كانت فعلية أو تهديدية التي ينتج عنها ـ أو قد ينتج عنها ـ تدمير وتحطيم للمتلكات أو إلحاق الأذى أو الموت بالفرد أو الجماعة والمجتمع .

العنف المبني على النوع الاجتماعي

العنف القائم على أساس النوع الاجتماعي مظهر تاريخي للعلاقات القائمة على القوة واللامساواة بين الرجال والنساء .

في ديسمبر عام **1993** أقر الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة ، الذي تبنته الجمعية العامة ووافقت عليه جميع الدول الاعضاء في الأمم المتحدة التعريف الآتي للعنف ضد المرأة على أنه "أي فعل عنيف قائم على التمييز حسب الجنس ينتج عنه إيذاء أو معاناة مادية أو جنسية أو نفسية للمرأة" .

"ووفقاً للتعريف فإن العنف ضد المرأة يتخذ أشكالاً متعددة منها ما هو جسدي وجنسي ولفظي وقد تتولد عنه مشكلات صحية مثل الإجهاض أو عاهات مستديمة ، وقد تنتج عنه أمراض نفسية مثل الإكتئاب والرهاب والقلق وصولاً إلى الانتحار" .

وقد يكون العنف في شكل حرمان من الحقوق مثل :حرية الاختيار ، القرار ، الوصاية على الأموال والإستيلاء عليها ، والحرمان من الميراث ، وقد يمارس أيضاً على مستويات متعددة ، فقد يكون في إطار الأسرة أو العمل أو المجتمع بشكل عام وقد يكون تحت مظلة الدولة والمؤسسات الرسمية مثل السماح بالزواج المبكر للإناث ، وعدم المساواة في الحقوق العامة أو التغطية على حالات العنف وعدم تسجيلها ، والتعاطف مع ما يسمى بجرائم الشرف والتي لا يعاقب عليها القانون حتى وصلت إلى حد القتل .

العنف كوسيلة :

يتخذ العنف وسيلة لإخضاع المرأة لتحقيق أغراض فردية أو جماعية شخصية أو رسمية وخلال الحروب والصراعات المسلحة كثيراً ما يُستخدم العنف ضد المرأة باعتباره سلاحاً في الحرب بهدف تجريد المرأة من آدميتها واضطهاد الطائفة أو الطبقة أو الدولة التي تنتمي إليها .

العنف الرمزي :

* يدل مفهوم العنف الرمزي على أشكال خفية للإكراه والضغط من خصائصها أن تمارس برضا الأشخاص الذين تستهدفهم .
* العنف الذي تعيشه المرأة لكنها لا تعتبره عنفاً لأنها تبرره وتدافع عنه .

أنواع العنف :

* العنف الفردي ـ العائلي
* العنف الاجتماعي
* العنف المؤسساتي

أنواع العنف نحو المرأة وأشكاله :

تعددت المداخل التي يمكن من خلالها النظر إلى أنواع وأشكال العنف الموجه نحو المرأة ، ويمكن تقسيمها إلى الآتى :ـ

من حيث القائمين به : هناك عنف من المرأة نحو المرأة ، وأحياناً أخرى كثيرة يكون العنف من الرجل نحو المرأة .

من حيث نوعية العنف : هناك عنف مادي أو جسدي ويكون من خلال الاعتداء بالضرب ، وهناك عنف معنوي قد يكون بالسب والإهانة أو التجريح والسخرية .

من حيث شموله أو مدى شموله : فهناك عنف فردي يقوم به فرد ضد فرد ، وهناك عنف جماعي عندما تشيع جماعة ما العنف ضد المرأة .

من حيث الدافع للعنف : هناك عدة دوافع قد تدفع للعنف منها الإحباط ، وقد يكون الحرمان دافعاً للعنف كوسيلة تعويض ، وقد يكون الدافع للعنف هو إظهار المهارة والتفوق وأحياناً إظهار الرجولة وإثبات الذات وقد يكون الدافع للعنف دفاعاً عن الذات أو رداً على عنف آخر ، أو قد يكون الخوف دافعاً للعنف وقد يكون الدافع للعنف الانتقام أو رغبة تدميرية قد تشمل الذات نفسها

<u>العنف ضد الرجل وهل هو رد الصاع صاعين ؟!!</u>

على مستوى العالم هناك دراسات كثيرة توضح تعرض الرجل للعنف من قبل المرأة ، ولكن هذا العنف لا يصرح به الرجل بسبب عدة اعتبارات ، والحقيقة أنه بالرغم من إن الرجل يمارس العنف ضد المرأة أكثر من المرأة ، إلا أن المرأة تمارس العنف نحو الرجل ونحو النساء الأخريات والأطفال بصورة بدأت في التزايد في السنوات الأخيرة . وبشكل عام فإن الدراسات العلمية تشير إلى أن **80**% من العنف الممارس يقوم به الرجال مقابل **20**% تقوم به المرأة .

أنواع العنف ضد الرجل

هناك أنواع كثيرة لعنف المرأة ضد الرجل منها العنف الجسدي كالقتل والضرب وهو قليل في مجتمعنا ، ولكن العنف الذي أصبح متفشياً هو العنف المعنوي والنفسي وهو عنف تمارسه النساء ضد الرجال ، ويأخذ صوراً متعددة تتراوح بين الضرب والشتم والإهانة أمام الأولاد والناس ، ومن حرمان الرجل لرؤية أولاده إلى حرمانه من الراحة المنزلية والاستقرار والهدوء في حياته العائلية ، ما يؤثر على الصحة النفسية والجسدية للرجل والذي بدوره ينعكس على التنشئة الاجتماعية والنفسية للأطفال .... .

وفي الواقع أن نسبة كبيرة من عنف المرأة ضد الرجل ليس سوى إلا رد فعل لعنف الرجل الموجه ضد الأنثى ، وتأكيداً على أن العنف ضد الرجل ما هو إلا رد فعل على العنف الذي يوجهه الرجل للمرأة .

ولقد ذكرت الدراسة ـ التي أشرفت عليها الدكتورة "نجوى الفوال" ـ موضحة أنه بالرغم من ارتفاع نسبة الرجال الذين ارتكبوا جرائم عنف مقارنة بالنساء ، إلا أن هناك اتجاهاً متزايداً لارتكاب المرأة المصرية للجرائم العنيفة ، خصوصاً جرائم القتل في ضوء الاضطهاد الذي تتعرض له . وأضافت : إن المرأة المصرية ما تزال ضحية للجريمة أكثر منها جانية ، وخصوصاً في جرائم العنف الأسري ، حيث يعد الضرب أكثر صور العنف شيوعاً ضدها ، وتأتي جرائم القتل العمد في المرتبة الثانية . موضحة أن المرأة تعيش في حالة دائمة من التهديد باستخدام العنف ضدها في ضل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية التي تعيش فيها . وأشارت الدراسة إلى أن أفراد العينة التي شملتها الدراسة أوضحوا "أن المرأة تستحق العنف بمختلف أشكاله وأن معاقبة الزوج لزوجتخ لا تعد عنفاً" مبينة أن نسبة الموافقين على العنف ضد المرأة ترتفع حتى بين النساء أنفسهن من أفراد العينة بنسبة **86**٪مقابل **96** بالمقارنة بالرجل ، مما يفسر سطوة التقاليد الاجتماعية والفهم الخاطئ لطبيعة العلاقة بين الزوجين .

والعنف ضد الرجال هو حالة غير عادية من طرف النساء يمكن إرجاعه إلى الأسباب التالية:

أولاً : أن يكون كرد فعل ضد عنف الرجال ، وهذا غالباً ما يحصل ، حيث يمارس الرجل عنفاً قاسياً ضد المرأة مما يقابله عنف في مستواه أو أقل منه .

ثانياً : يمكن أن يكون نتيجة للتركيبة النفسية للمرأة ، حيث أنها تعامل بقسوة في طفولتها وأثناء شبابها ، فنشأت في هذه البيئة العنيفة ، مما قد ينتج عنه عنف صادر من المرأة ، هذا التفسير نسبي لا ينطبق على جميع الحالات .

ثالثاً : غالباً ما تكون المرأة العنيفة متزوجة برجل ضعيف الشخصية ، وبحكم أنها تتحمل مسؤولية البيت والأولاد ، قد تدفعها هذه المسؤولية إلى الطغيان واستعمال العنف ؛ لأنها تقلدت مكانة الرجل .

رابعاً : قد يرجع العنف الصادر من النساء إلى حالات من الانحراف ، وهي حالات النساء اللواتي يتعاطين الفساد وتناول المخدرات والمسكرات ، وهذا سلوك يبدل طبيعتهن الأنثوية إلى طبيعة عنيفة .

خامساً : الفارق العمري الكبير بين الزوج والزوجة والطلاق والانفصال ، وما يتبعها من حرمان للأب من رؤية أبنائه ، وزواج المصلحة وعدم التوافق والتكافؤ الاجتماعي بين الزوج والزوجة .

وفي محاولة منه لصناعة تيار يواجه العنف ضد الرجل يقول خالد عبد العزيز راوح :"جميل أن يكون **25** من نوفمبر يوماً عالمياً لوقف العنف ضد المرأة كشكل من أشكال الدفاع عن إنسانيتها ، والاعتراف بمكانتها في المجتمعات . والسؤال الذي يضع نفسه : أين موقع الرجل من "الأيام العالمية" التي تطلقها منظمات المجتمع المدني التي لا تتذكر فيها الرجل إلا بصفته ممارساً للعنف ومنتهكاً لحقوق المرأة .. حتى لكونه (غريم المرأة) وليس حبيبها وأخاها وابنها .. الخ .

فالمرأة في قاموسهم مضطهدة والرجل هو المتهم الوحيد في نصفه الآخر ، ولكن رجال غلابة يعانون حتى هذا العصر من بطش النساء إلا أن "العيب" يجعل الواحد منا يخفي اضطهاد زوجته ليظل بين الناس (راجل ابن راجل) .. هكذا عاداتنا وثقافتنا الاجتماعية التي تربينا عليها فأمراض الكبت عند الرجال ناتجة عن عنف زوجاتهم ، لكنهم يتجلدون ولا يظهرونها حتى لا يصغرون في أعين المجتمع .

إن ممارسة العنف لا يمكن اقتصارها على الرجل دون المرأة ، فكلاهما يمارسانه بنسب متفاوته خاصة بين المتزوجين .. ولو أن هناك دراسة حقيقية عن هذه الظاهرة لكانت النتائج تشير إلى أن المرأة تمارس العنف بقدر أكبر من الرجل لدرجة تجعله أكثر المحتاجين إلى "يوم عالمي" لحمايته من عنفها وليس شرطاً أن يكون عنفها بالصفع والرفس ، بل هناك عنف من نوع آخر يترك أثره طوال العمر أو يسحب الرجل عنوة إلى طريق الجنان .
فثرثرة المرأة طوال الليل عنف .. وكثرة طلباتها التي لا تنتهي عنف .. وخروج المرأة في

مصر لتخلع زوجها بسبب شخيره عنف ووصفها بأنها وزارة الداخلية في مجتمعنا العربي الرجولي عنف ما بعده عنف .. ألم أقل لكم إن الرجل بحاجة إلى يوم عالمي لحمايته .

يا ترى هل يمكن أن يكون هذا المقال مثبطاً ومهبطاً لعزيمة من يقاومون العنف ضد المرأة ؟ أم أنه مجرد أفكار يقدمها رجل إنحاز لجنسه ؟!!

الأسباب العامة للعنف في المجتمع المصري

العنف من الظواهر التي انتشرت مؤخراً بشكل كبير في المجتمع المصري وتتعدد أشكال العنف في المجتمع المصري ، ولكن من أبرزها العنف المباشر وغير المباشر . فالعنف المباشر قد يوجه نحو الضحية مباشرة حيث تقع أعمال العنف على شخص بذاته أو جماعة بذاتها ، أما النوع الآخر فهو العنف غير المباشر حيث يتم الاعتداء على أحد ممتلكات الضحية أو متعلقاته الشخصية ، دون التعرض لشخصه . وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من العوامل النفسية التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على حالة الأفراد في المجتمع ، وتدفع بعضهم للقيام بأعمال العنف . ومن هذه العوامل على سبيل المثال حالة الإحباط التي قد تصيب الأفراد في المجتمع والتي تعتبر أهم عامل منفرد يؤدي إلى العنف ، كما أن هناك عدد من العوامل التي ترتبط بالحياة السياسية ، والتي تؤثر بشكل كبير على تفشي ظاهرة العنف في المجتمع المصري من أهمها على سبيل المثال الإرهاب الذي يتسبب فيه الفكر الديني التطرفي الذي يكفر الآخر ويلغيه ويستعبده ... كذلك تؤثر الأوضاع الاقتصادية التي يشهدها المجتمع المصري على مدى انتشار أعمال العنف في المجتمع ، حيث يتأثر الأشخاص القائمون بأعمال العنف بأوضاع مثل الفقر والبطالة وفقدان فرص العمل وزيادة الأسعار ، وفي بعض الأحيان قد تدفع الظروف الاقتصادية إلى القيام بأعمال عنف ـ مثل البلطجة ـ مقابل الحصول على الأموال .

وعن أسباب تفشي العنف في المجتمع المصري قال خبراء النفس والاجتماع لموقع أخبار مصر **www.egynews.net** إن التفكك الأسري وانتشار أخبار ومشاهد العنف في وسائل الإعلام من أهم أسباب انتشار جرائم الدم في المجتمع ، بالإضافة إلى القضايا الشائعة مثل البطالة والغلاء وضيق الإمكانات المادية .

وعن مسئولية وسائل الإعلام ودورها في العنف يأتي التليفزيون في المقدمة ، فالتليفزيون هو أكثر الوسائل التي تؤدي إلى نشر العنف بنسبة **60**٪ والسينما بنسبة **35,4**٪ ، فهذه الوسائل ترى في العنف أسهل الطرق للإثارة وتحقيق أهدافها وأرباحها . وانتقدت د . نجوى بشدة الصحف التي تسود صفحاتها بالتفاصيل الدقيقة لبعض الجرائم . وقالت إن انتشار

العنف في الشارع يتناقض تماماً مع طبيعة الشعب المصري المتسامحة القائمة على المودة والتراحم معربة عن اعتقادها أن الظاهرة لها علاقة بالثورة التكنولوجية وعالم الفضائيات والنت الذي يخلق مجتمعاً افتراضياً يؤدي إلى الفردية والانعزالية عن بقية أفراد الأسرة ، وهي بدورها أصبحت لا تجتمع إلا في الظروف القصوى .

الدكتورة سوسن الغزالي أستاذ الصحة العامة والطب السلوكي بجامعة عين شمس أوضحت أن غريزة تدمير الذات والآخر كامنة داخل الإنسان ، ومعظم الجرائم تندرج تحت بند الغيرة والانتقام والحقد الذي يولد الكراهية والاحتراق الداخلي ، فيخرج الإنسان عن شعوره وفقاً للنظرية السلوكية العكسية ، حيث يتحول الإنسان من النقيض إلى النقيض أو شر الحليم إذا غضب .

يذكر أيضاً من أسباب العنف تعاطي المخدرات والخمور ، وهي بدورها تساهم في **70**٪ من جرائم القتل والاغتصاب والعنف وحوادث المرور ، وتكتمل الحلقة الجهنمية بأفلام العنف التي تحفل بها الفضائيات من قتل وتدمير وحروب ، مما يجعل الفرد عرضة لما يسمى الكرب التالي للصدمة ، حيث تتبلد المشاعر وتزداد العصبية ويسهل تقبل العنف وممارسته .

"وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدد من الإجراءات العلاجية والوقائية للحد من مستويات العنف في المجتمع المصري ، منها توجيه العناية نحو الفئات المهمشة ، دراسة حالات العنف دراسة علمية مستفيضة لاستكشاف الجوانب النفسية والاجتماعية التي تحتاج إلى علاج ، التدريب على المهارات الاجتماعية ، تشديد العقوبة لتلك الجرائم ، العمل على زيادة الوعي الديني والأخلاقي والتربوي ، تعزيز الدور الإعلامي في محاربة ظاهرة العنف ، وتقنين العمل التطوعي" .

أسباب العنف ضد المرأة

تحدثنا عن الأسباب العامة للعنف ولاسيما في المجتمع المصري ، ونحاول هنا إلقاء الضوء على الأسباب الكامنة خلف كواليس العنف ضد المرأة :

1- المرأة نفسها : تعتبر المرأة نفسها هي أحد العوامل الرئيسية لبعض أنواع العنف الذي يقع عليها ، وذلك لتقبلها له بصمت وتسامح وخنوع ورضوخ وسكوت ، ويبدو أن المرأة بسبب التاريخ الطويل من القهر والظلم استعذبت العذاب ، بل وأصبح هناك الكثير من النساء اللواتي يبررن للرجل عنفه وتسلطه عليهن بزعم أن هذا هو حقه الطبيعي والشرعي ، وهذا الفكر يجعل الرجل يأخذ في التمادي والتجرؤ أكثر فأكثر ، هناك أسباب تتعلق بذات المرأة

(المعنفة) ، كأن تكون المرأة رافضة لأنوثتها ، أو رافضة لذاتها ، أو قد تكون في حالة من اللاوعي بخطورة أمر التعنيف .

كل هذه الأسباب وغيرها هي التي ساهمت وتساهم في (تدعيم السلطة الذكورية) "المتعسفة" وترسيخها على مر الأيام وكأنها هي أصول التعامل الطبيعية ، وهذه رؤية خاطئة لن تتغير مالم تغير المرأة من سلوكها الخانع ...!!!

2- الأسباب الثقافية : كالجهل وعدم معرفة كيفية التعامل مع الآخر وعدم احترامه ، وهذا الجهل قد يكون من الطرفين المرأة والمُعنف لها ، فجهل المرأة بحقوقها وواجباتها من طرف وجهل الآخر بهذه الحقوق من طرف ثان قد يؤدي إلى التجاوز وتعدي الحدود .

3- الأسباب التربوية : قد تكون أسس التربية العنيفة التي نشأ عليها الفرد هي التي تولد لديه العنف ، إذ تجعله ضحية له حيث تشكل لديه شخصية ضعيفة وتائهة وغير واثقة ، بحيث يستقوي على الأضعف منه وهي المرأة ، وكما هو معروف أن العنف يولد العنف .

وقد يرى الطفل ما كان يحدث مع والدته من عنف من قبّل أبيه ، ومن هنا فهو ينشأ على عدم احترام المرأة ومن ثم فهو يتعامل بشكل عنيف معها .

4- العادات والتقاليد : هناك أفكار وتقاليد متجذرة في ثقافات الكثيرين والتي تحمل في طياتها الرؤية الجاهلية لتمييز الذكر على الأنثى مما يؤدي ذلك إلى تصغير وتضئيل الأنثى ودورها، وفي المقابل تكبير وتضخيم الذكر ودوره .

كما أن الأقوال والأمثال والتعابير التي يتداولها الناس في المجتمع عامة بما في ذلك النساء أنفسهن والتي تبرز مدى تأصيل هذه الثقافة .

5- الأسباب البيئية : فالمشكلات البيئية التي تضغط على الإنسان ، كالازدحام ، وضعف الخدمات ، ومشكلة السكن ، وزيادة السكان و..... الخ ، فذلك يدفعه دفعاً نحو العنف ليؤدي إلى انفجاره في من هو أضعف منه (المرأة) .

6- الأسباب الاقتصادية : فالخلل المادي الذي يواجهه الفرد أو الأسرة ، والتضخم الاقتصادي الذي ينعكس على المستوى المعيشي لكل من الفرد أو الجماعة حيث يكون من الصعب الحصول على لقمة العيش وهذه المشكلات الاقتصادية قد تجعل الفرد عنيفاً يصب جام غضبه على المرأة .

7- عنف الحكومات والسلطات : ذلك من خلال سن القوانين التي تعنف المرأة أو وقوف القوانين بجانب من يقوم بعنفها ، أو عدم الأخذ بحقها وكرامتها عندما تمد يدها لأخذ العون منهم.

ويضع حسين درويش العادلي بعض أسباب العنف ضد المرأة مثل :

1- النظرة القيمية الخاطئة والتي لا ترى أهلية حقيقية وكاملة للمرأة كإنسانة كاملة الإنسانية حقا وواجبا .

2- ديمومة التقاليد والعادات الاجتماعية الخاطئة التي تحول دون تنامي دور المرأة وإبداعها لإتحاف الحياة بمقومات النهضة .

3- ضعف المرأة نفسها في المطالبة بحقوقها الإنسانية والوطنية والعمل لتفعيل وتنامي دورها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

4- تداعيات الحروب الكارثية

5- الآثار السلبية للتدهور التعليمي والتربوي والصحي والبيئي

ويقول الدكتور عبد الحميد اسماعيل الأنصاري أنه من أسباب العنف ضد المرأة :

أولاً :- الطبيعة غير السوية عند بعض الرجال ، فيجد في الزوجة متنفساً أو لأنه من أسرة تعود الأب فيها ضرب زوجته .

ثانياً :- مفاهيم مغلوطة منتشرة في الوسط الاجتماعي ومنها :-

فهم مغلوط للقوامة إذ هي عند بعض الرجال التسلط والتسيد مع أن المفهوم الشرعي للقوامة هو أن القوامة من القيام على الشئ بما يصلحه ، برعايته وحمايته وتأمينه .

فهم مغلوط للرجولة إذ تعني عند البعض أن يكون الرجل شديداً حازماً ، لأن المرأة عندهم إنما تحترم الزوج الذي يضربها لا الزوج المتسامح الطيب .

فهم مغلوط للتوجيه والإرشاد ، هناك مفهوم مغلوط يشيع عند العامة فمن حق الرجل عندهم أن يضرب زوجته .

فهم مغلوط لطبيعة المرأة هناك من يرى أن المرأة خلقت عوجاء فلابد من ضربها لتعتدل وأن المرأة في قرارة نفسها تحترم الزوج الذي يضربها ولو اشتكت ظاهرياً منه .

فهم مغلوط لحق الطاعة ، فالطاعة عندهم الخنوع وتحمل المهانة وعدم الاحتجاج والشكوى ، وعدم مشاورة الزوج لزوجته .

ثالثاً :- النمط السائد للتربية : المجتمعات العربية ذكورية تربي المرأة ضعيفة لا شخصية لها ، وتربي الرجل ليكون سيداً مطاعاً له كل الحقوق والإمتيازات .

رابعاً :- المرأة نفسها لضعف في شخصيتها ، وتأثرها بمفاهيم مغلوطة وثقافة مغشوشة تساهم في دعم الاتجاهات التعصبية في المجتمعات التي تنادي بقمع المرأة ووأد حريتها .

خامساً :- الإعلام يرسخ تسيد الرجل سواء في الأفلام أو المسلسلات وغيرهما .

سادساً :- النظام التشريعي ويتمثل في :-

ضعف التشريع العقابي فإذا ضرب الرجل أو شتم زوجته فهو جنحة وإذا أدى الضرب إلى موت الزوجة فالعقوبة هينة حبس**3** سنوات فقط .

انحياز التشريع لمصلحة الرجل ليس من حق المرأة أن تطلب الطلاق إذا كان الزوج عقيماً، ولكن للزوج أن يطلقها إذا كانت عقيمة .

والملاحظ أن التشريعات في جميع الدول العربية تحرم أولاد المواطنة من الجنسية إذا كان زوجها أجنبياً ، وهو ظلم صارخ .

سابعاً :- سوء اختيار الزوج أو الزواج العشوائي .

ويضيف الدكتور اسماعيل الأنصاري أسباباً أخرى فيقول :-

هناك أسباب أخرى متمثلة في تعاطي الزوج للمسكرات والمخدرات ، وانخفاض المستويين التعليمي والاقتصادي للزوج ، وهناك سبب مهم وأساسي هو "ضعف الوازع الديني" نظراً لأداء بعض المسلمين شعائر الدين وعباداته من صلاة وصيام شكلياً مظهرياً فلا يُربى ضميراً ولا يُهذب سلوكاً ولا يحسن معاملتة .

ويقول الدكتور عادل عامر أن هناك العديد من العوامل الشخصية المفسرة للعنف ضد المرأة :

هناك العديد من النظريات التي ترجع العنف إلى عوامل وأسباب شخصية منها :

ـ نظرية الأصول البيولوجية الغريزية : ترى هذه النظرية أن هناك غريزة طبيعية عامة للاقتتال لدى الإنسان فينشأ عن هذه الغريزة أوضح وأقوى لدى البعض مما يؤدي لظهور

العنف لديهم ، وطبقاً لهذه النظرية فالعنف سمة من سمات أي شخصية بوجه عام ولكنها تكون أوضح لدى بعض الفئات والأفراد عن غيرهم .

ـ نظرية الكوليسترول : تقوم هذه النظرية على أساس أن هرمونات العنف مرتبطة بمستويات الكوليسترول المنخفضة التي تدفع أفرادها بوجه عام نحو العنف .

ـ نظرية المخ : ترى هذه النظرية أن السمات أو الملكات المختلفة للشخصية يقع كل منها في منطقة معينة من المخ ، ومنها ملكة التدمير التي يعتقد أن مركزها في موقع المخ فوق الأذن ، وأن الأفراد تختلف في مدى انتشار أو قوة هذا الجزء ، ومن ثم فالعنف يختلف حسب اختلاف الإنسان في هذه الجزئية .

أنماط العنف ضد المرأة

العنف ضد المرأة له أنماط مختلفة ، وهو متعدد الأشكال والألوان ، وهو ملازم للمرأة في معظم مراحل حياتها ، سواء كانت داخل البيت أو خارجه ، وسواء كانت في بيت أبيها أو في بيت زوجها ، وسواء كانت في الشارع أو في العمل ، فالعنف ملازم للأنثى أينما سارت وحيثما حلت ، وسنحاول أن نرصد بعض أنماط العنف ضد المرأة مع الوضع في الاعتبار إنه عملياً يصعب الفصل بين أشكال العنف لأن هناك عنف مركب .

أولاً : العنف الثقافي :

تعد العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية من أهم الأطر الثقافية التي تقدم سنداً وتبريراً للعنف ضد المرأة ، فضلاً عن القيم العشائرية والثقافية الذكورية التي تعلي من شأن الرجل وتعامل المرأة بدونية واحتقار وتضعها في الدرجة الثانية من السلم الإنساني . ويدعم هذا بعض النصوص الدينية التي تفسر في الكثير من الأحيان لصالح الرجل فتتمخض عنها أحكام فقهية تنال من المكانة الإنسانية للمرأة ، أو تسلبها حقوقها ودورها في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

كذلك ما يحمله الموروث الشعبي في عالمنا العربي نحو المرأة ، فهناك الكثير من الأفكار التي تقلل من قدر المرأة وتنظر إليها لا ككائن عاقل له شخصية متميزة ولكن باعتبارها أقل من الرجل ، فمن الأمثال :"النساء مقص أعوج" وأنها تجيد التمثيل في العبادة والصلاة "لا تأمن للحرة إذا صلت ولا الخيل إذا أطلت ولا للشمس إذا ولت" ومن الأمثال الشعبية ما يؤكد إن المرأة تحتاج للرجل لا من أجل الزواج في حياة تكاملية يكمل كل منهما الآخر ، ولكن لمجرد إحساسها بالأمان فمن الأمثال "ضل راجل ولا ضل حيطه" ، و"حرمة من غير راجل زي الطربوش من غير زر" و "جهنم جوزي ولا جنة أبويا" .

إن الموروثات الفكرية والثقافية المتخلفة لم تترك للمرأة خياراً في البعد عن استبداد الرجل واستعباده ، فتنشأ البنت مقتنعة تماماً بأنها أقل منه ، وأنها لابد أن تكون مستعبدة له ، ومن تُبدي حنقها ، تكون امرأة حمقاء في نظر المجتمع .

"ومن الخطورة بمكان أن أنماط العنف ضد المرأة في المجتمعات العربية التي ترتكز على العادات والتقاليد لا ينظر إليها المجتمع في الغالب الأعم بعين الاستهجان بل على العكس من ذلك تضفي عليها هالة من الاستحسان والمباركة الاجتماعية قد تصل أحياناً درجة القدسية ، الأمر الذي يتيح لها فرصة التوطن والانتشار والتجذر"

ثانياً: عنف ما قبل الولادة :

يبدأ العنف ضد الأنثى في مجتمعاتنا العربية حتى قبل أن تولد ، وتشهد الأرقام المتاحة عن الدول النامية على أن هناك حالات إجهاض كثيرة لأجنة إناث بعد معرفة نوع الجنين ، ويحمل الموروث الشعبي الكثير من العنف والتمييز ضد الأنثى ، حتى قبل أن تولد"ففي لحظة شعور الأم بأنها حبلى ، تعبر عن رغبتها مباشرة في إنجاب طفل ذكر يملأ عليها الدار سعادة ، وتخوف المرأة العربية من إنجاب الإناث عميق الجذور ويعود إلى أيام كانت القبائل العربية تقتل البنات لتتخلص من عارهن" .

وما أكثر الأمثال الشعبية التي تقلل من شأن الأنثى ، ومن هذه الأمثال : يا مخلفة البنات يا مخلفة الهم للمات ، ولما قالوا دي بنية إتهدت الحيطه عليا ، ولما قالوا ده ولد إتشد ضهري واتسند .

بالطبع هذه الأمثال الشعبية وغيرها من الفولكلور الشعبي من المؤكد إنها ترسخ لثقافة العنف ضد الأنثى حتى قبل أن تولد ، هذا فضلاً عن أن العنف يظهر في الأسماء التي تعطيها بعض الأسر لبناتهن مثل : استكفينا ، بخاطرها ، نهاية ، ختام ، كفا ، وغيرها من الأسماء التي يندى لها الجبين والتي تُشعر الفتاة أنها غير مرغوب فيها !!

ثالثاً: العنف الأسري :

تقول الدكتورة ميه الرحبي وهي كاتبة سورية :"إن كان الوأد قد انتفى اليوم بالمعنى الحرفي إلا أن وأداً جسدياً ونفسياً واجتماعياً مازال يطبق على المرأة بالمعنى المجازي للكلمة ، والذي يتخذ درجات متفاوته من العنف ضدها ، وأستطيع الجزم أنه لا توجد امرأة عربية نجت من العنف الأسري بدءاً من النظرات المؤنبة المحذرة مروراً بالتقريع والحرمان والضرب بحجة التربية ، والتمييز الواضح بينها وبين أخوتها الذكور في المنزلة وفرص التعليم والترفيه وممارسة الهوايات والنشاطات الاجتماعية والحرية الفردية والعمل المنزلي والتصرف بمردود العمل ، وإنتهاء بأشكال العنف النادرة

الموجودة ، مثل الحبس والتقييد والكي ، وإنتهاء بالقتل باسم الشرف ، فقد حولت العادات والتقاليد في مجتمعاتنا العربية الأسرة في كثير من الأحيان إلى أداة قمع للطفل بشكل عام ، بدل أن تكون حاضنة إنسانية دافئة له . وتتعرض الفتيات إلى عنف مضاعف ناجم عن الاضطهاد الممارس على المرأة وعلى الطفل في مجتمعاتنا ، فبحجة التربية والحفاظ على الفضيلة ، يطبق على الفتيات عنف جسدي ونفسي ، يصعب تصديقه في بعض الحالات ، بدل أساليب التي تتبع الموعظة والأسوة الحسنة والرفق والعطف .

رابعاً: البتر التناسلي للإناث .. عملية جزارة لا طهارة !!

إن هذه العادات الذميمة هي عملية جزارة لا طهارة . كما أنها عملية بتر نفسي قبل أن تكون بتراً جسدياً ومحاولة بتر المرأة نفسياً وإجتماعياً هي محاولة تأخذ صوراً عدة في عالمنا العربي كأن يطالب البعض بأن تظل المرأة حبيسة البيت ولا تخرج للعمل أو أن يتحول الشارع إلى معتقل تتحرك فيه المرأة بحساب وريبة وأغطية وحواجز وأكفان ومن مظاهر الانفصام والشيزوفرينيا التي نغرق فيها إننا نعيش في مجتمع يصرف رجاله نصف مرتباتهم على الفياجرا لإشعال طاقاتهم الجنسية ولكنه في ذات الوقت يختن نصف بناته لإخماد طاقتهن الجنسية !!.

فالشرف سلوك لا تضبطه الداية أو حلاق الصحة أو حتى طبيب أو جراح ماهر ، وأن الشهوة الجامحة لن يلجمها بتر عضة أو نزف دم ، فالمخ هو العضو الجنسي رقم واحد في الإنسان وهو مصدر الرغبة الجنسية ومحرك الشهوة ومن هنا فإن عملية البتر التناسلي لا تقتل الرغبة الجنسية ولكنها تقتل الإشباع لذلك ما أكثر العفيفات غير المختتنات وما أكثر العاهرات المختتنات !! أن العفة مسئولية عقل وروح وليست مسئولية قطعة من اللحم أو بروز من الجلد خلقه الله للمتعة وليس للنكد .

خامساً: زنى المحارم ... عنف ضد المرأة

الأنثى هي أكثر فئات المجتمع تعرضاً لزنى المحارم ، ويعد هذا النوع من الزنى أحد أنماط العنف ضد المرأة ، وعن زنا المحارم تقول موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية "زنا المحارم بالإنجليزية :(**incest**) هو أي علاقة جنسية كاملة بين شخصين تربطهما قرابة تمنع العلاقة الجنسية بينهما طبقاً لمعايير ثقافية أو دينية .

وتوجد أنماط متنوعة وكثيرة لزنا المحارم ولكن من المؤسف كما تقول ويكيبديا : إن أكثر الأنماط شيوعاً هو علاقة الأب بابنته حيث تشكل **75**٪ من الحالات التي تم الإبلاغ عنها . ومن الأنماط الأخرى :-

النمط المرتبط بالظروف ، وهو يحدث بين أخ وأخت ينامان في سرير واحد أو في غرفة واحدة فيقتربان جسدياً أكثر من اللازم ، وخاصة في مرحلتي ما قبل البلوغ والبلوغ .

النمط المصحوب باضطراب مرضي شديد ، كأن يكون أحد الطرفين سيكوباتياً أو يتعاطى الكحوليات أو مصاباً بالفصام أو أي اضطرابات ذهانية أخرى .

النمط الناتج عن عشق الأطفال أو الغلمان .

النمط الناتج عن نموذج أبوي مضطرب ، حيث يشاهد الولد أباه يفعل ذلك أو يعرف أنه يفعله فيتقمصه أو يقلده .

النمط الناتج عن اضطراب العلاقة الزوجية ، حيث ترفض الزوجة العلاقة الجنسية فيبحث عنها الزوج في غير محلها (لدى أحد المحارم) .

النمط الناتج عن الإضطراب الشديد في العلاقات الأسرية ، بحيث تصبح هذه العلاقة ممزقة بما لا يعطي الإحساس بأي حرمة في أي علاقة .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه :

كيف نتصرف عند حدوث الاعتداء على الأنثى من أحد محارمها ؟ أو كيف يمكننا معالجة الضحية في حال ممارسة الجاني قهراً عليها حتى ترضخ لمطالبه ؟

الإجابة على هذه التساؤلات في الخطوات الإجرائية التالية :

أولاً : الإفصاح :

إن أول وأهم خطوة في علاج زنا المحارم هي تشجيع الضحية على الإفصاح ، وذلك من خلال لجوئها إلى شخصية محورية داخل الأسرة ، لها من السلطة ما يكفل لها ردع الجاني ، ووجد أن الإفصاح عن تلك العلاقة الآثمة من قبل الضحية يؤدي في أغلب الحالات إلى توقفها تماما ؛لأن الشخص المعتدي يرتدع خوفاً من الفضيحة أو العقاب .

ثانياً : الحماية للضحية :

بمجرد إفصاح الضحية عن تعرضها للاعتداء الجنسي من قبل أحد محارمها يتعين على أفراد الأسرة الأسوياء تهيئة جو آمن لها لحمايتها من تكرار الاعتداءات الجنسية أو الجسدية ضدها . وإذا صعب توفير هذه الحماية لها داخل أسرتها ، عليها أن تلجأ إلى قريب تثق فيه (عم أو خال مثلاً) وتطلب منه دعمها في مواجهة هذا الموقف العصيب الذي تتعرض له . وإذا لو يتوافر لها حتى ذلك القريب فعليها الالتحاق بأقرب دار للرعاية الاجتماعية الآمنة والموثوق فيها ، لحين بحث أحوال الأسرة ، ومعالجة ما بها

من خلال ومراجعة قدرة الوالدين على حماية أبنائهما ؛ فذلك أفضل لها من العيش تحت التهديد المستمر للجاني .

سادساً: عمل الطفلة .. نوع من السُخرة !!

يقول بهي الدين حسن في ورقته المقدمة لليونسيف **1994** عن الطفلة الخادمة ، عندما تعمل الصغيرات كخادمات في المنازل ـ وهو عمل بالغ الانتشار في مصر ـ يحرمن من أسرهن ، ويحتجزن في أسر غريبة عنهن ، يقدمن لها خدمات لا تتناسب مع أعمارهن ، ويتعاملن مع أجهزة معقدة ويحملن الأثقال ، ويخدمن الأطفال الذين هم في مثل عمرهن أو يزيد ، ويتحملن العقاب الرادع لأتفه الأسباب ويقارن أنفسهن بأطفال الأسر التي يخدمونها والذين يلاقون الكثير من الرعاية والتدليل فيشعرون بالقهر النفسي ، والخدمة في البيوت ليست العمل الوحيد للطفلة الفقيرة ولكنها تؤخذ من حضن الأسرة لتعمل أحياناً في الزراعة أو جني القطن أو ورش النسيج والملابس وصناعة السجاد والمصانع الصغيرة ، إنه استرقاق من نوع جديد ، إنه نوع من أنواع العنف الذي يمارس ضد الفتاة الصغيرة .

ويظهر العنف ضد المرأة بصفة عامة في معاملتها المادية نظير عملها ، وهذا العنف يظهر في التمييز بين أجر المرأة وأجر الرجل من دون حق ، مع أن التساوي في العمل يقتضي التساوي في ما يترتب عليه ، علماً أن المجتمع بأسره قد يمارس هذا النوع من العنف عندما يسن قوانين العمل التي لا تراعي للمرأة أعباء الأمومة أو الحضانة أو ما إلى لك مما يختص بالمرأة ، إضافة إلى استغلال المدراء وأرباب العمل للموظفات من خلال الضغط عليهن في أكثر من مجال .

سابعاً: عنف التمييز الغذائي

من أبرز مظاهر العنف ضد الطفلة الأنثى التمييز في التغذية والعناية الصحية ، فبرغم الجهد الملموس للدولة في رعاية الطفل الصحية سواء في توفير التطعيمات والأمصال أو في توفير محاليل الجفاف والأدوية وتعميم التأمين الصحي ، إلا أن التمييز الاجتماعي قد أصاب الطفلة الأنثى بالضرر الصحي من ناحية سوء التغذية أو إهمال الرعاية الصحية السليمة ، فالكثير من الأمهات يحرصن على إرضاع الصبيان لفترة أطول من تلك التي تخصص للبنات ، وفي معظم الأحيان تحرصن على تقديم لحوم أكثر للصبي عن أخته وتتلهفن على الذهاب للطبيب بالولد أسرع من البنت ، وفي كل التقارير العربية يتضح بجلاء أن نسبة وفيات البنات في السنوات الأولى أعلى من نسبة وفيات الذكور ، والأنيميا نسبتها أعلى في الإناث عن الذكور .

ثامناً: عنف التمييز في فرص التعليم

تشير الإحصائيات إلى أن الأولاد الذكور أكثر تعليماً من الإناث ، وتأكيداً لهذه الحقيقة يقول الدكتور خالد منتصر:"تعليم الولد واجب أما تعليم البنت فعند البعض ترف ، وتعليم الولد لن يفسده ويفتح عينيها وكأننا كنا نتمنى ولادتها عمياء ، وإذا تعثر الولد فيجب أن يعيد السنة أما البنت فتعثرها لا يتطلب إعادة أو تحسين مجموع .... الخ .

تاسعاً: العنف بسبب جرائم الشرف

"شرف البنت زي عود الكبريت ما يولعش غير مرة واحدة بس ، وشرف الولد زي الولاعة الأتوماتيك ممكن يولع إلى ما لا نهاية **!!** ما أكثر المرات التي نقرأ فيها أو نسمع عن أب يقتل ابنته أو أخ يمزق أخته أو زوج يخنق زوجته لشكه في سلوكها وهو ما يطلق عليه جرائم الشرف ، ودائماً الشرف هو شرف الرجل ودائماً الضحية هي المرأة" ولأن قيمة العرض والمحافظة على الشرف هي التي تتحكم في كثير من أساليب سلوك الناس وعادتهم المتبعة في معاملة الأنثى منذ طفولتها المبكرة ، وفي جميع مراحل تنشئتها الاجتماعية فهذه القيمة هي المسئولة مثلاً عن عادات تخويف الأنثى من القفز واللعب العنيف ، حتى لا يتمزق غشاء بكارتها .. ويتم إفهام البنت الصغيرة تفهيماً جيداً ، أنها لو كبرت .. واكتشفوا ليلة "دخلتها" على عريسها ، أي غشا بكارتها قد مزق فإنهم سيقتلونها .. وفي هذا من غير شك ضبط كبير لسلوكها في أثناء اللعب".

"ولأن شرف المرأة عندنا له معنى محدد وواضح هو غشاء البكارة والجنس ، فهو ضيق كثقب الإبرة ، فالمرأة غير الشريفة هي التي تفرط في عرضها ، أما الرجل غير الشريف فهو الرجل السارق أو النصاب وماعدا ذلك فهو شريف ولو مارس الجنس مع ثلاثة أرباع نساء الكرة الأرضية ، فسيظل شريفاً عفيفاً لا تلوثه هذه العلاقات الطياري.

وتقول الإحصائيات أن **80**٪ من القتيلات بدعوى الشرف بريئات تماماً وعذارى ، وهو ما يثبت أن الشك الذي يمثل الباعث الأساسي لمعظم جرائم الشرف هو شك لا يوجد إلا في عقل القاتل الذي تحركه غريزته الهستيرية ، فيذبح ويخنق ويحرق بدون أن ينصت ولو لثوان قليلة لصوت العقل والضمير ، فهناك من يقتل أخته لأن الدورة الشهرية انقطعت فيظن أنها حامل ثم يكتشف أنها كانت تمارس ريجيماً قاسياً أدى إلى انقطاع الدورة !!وهناك من يقتل ابنته بسبب كثرة شكواها من المغص والدوخة والإغماء وظهور انتفاخ بالبطن ، وما أدراك ما انتفاخ البطن عندنا ، فالبوصلة الجنسية المركبة في مخيخ أهالينا دائماً ما تشير إلى الجنس ، فيظن الأب أن ابنته حملت سفاحاً فيقتلها ويقطع رقبتها بالفأس ثم يكتشف أن ابنته البريئة كانت تعاني من تشوهات خلقية وولدت بغشاء بكارة مسدود لا يسمح بمرور دم الحيض ، وتجمعت الدورة الشهرية على مدار

شهور عديدة فانتفخ بطنها ، لقد كانت الفتاة البريئة تحتاج إلى مشرط الطبيب لا إلى فأس الأب .

ووجود غشاء البكارة ليس دليلاً على عفة الفتاة ، فما أكثر العاهرات اللواتي يمارسن الجنس مع رجال كثيرين ومع ذلك يكون الغشاء سليماً ، بل إنه في بعض الحالات لا ينفض غشاء البكارة إلا أثناء نزول الطفل أثناء الولادة !!

ولكن المجتمع الإنساني هو الذي تفرد بالأساطير المنسوجة حول هذا الغشاء وعن ربطه بالشرف وأيضاً هو الذي اخترع عملية جراحية لتزييفه وهي عملية الترقيع والتي انتشرت انتشاراً كبيراً في الآونة الأخيرة لدرجة تخصص بعض أطباء النساء في هذه العملية فقط ، والتي تدر عليهم أرباحاً كبيرة نتيجة المتاجرة بفوبيا الشرف ، إنه باختصار أكبر مقلب يشربه الرجل الشرقي ، وبالرغم من أنه هو الذي خلق وصنع هذه الأسطورة فإن هذه الخيوط الجراحية التي تلحم الغشاء تلحم معها كرامته حتى ولو كان متأكداً من أنها مزيفة .

"كم امرأة قتلت بيد زوجها أو أهلها ليلة زفافها بسبب عدم خروج الدم عند اقتحام القلعة وتدمير الجدار؟ لكون الدماء لم تسل لتحرير الأرض المحتلة وتكون نتيجة الفحص الطبي أن الفتاة المغدورة كانت بكراً والغشاء من نوع المطاطي" .

عاشراً : تزويج الطفلة ... عنف ضد الأنثى

المقصود بمصطلح "تزويج الطفلة" هو تزويج الفتيات دون سن الثامنة عشر وللدقة أطلقنا عليه "تزويج" وليس "زواج" وذلك لأنه يفتقر لعنصر الإرادة الحرة الواعية .

يقول الدكتور خالد منتصر "حقيقة تحدث كثيراً عندنا في مصر وسيناريو عبثي سريالي كابوسي أبطاله رجل رضى على نفسه أن يبيع لحم ابنته الطفلة بالقطاعي لرجل آخر قبل على نفسه أن يعاشر طفلة في سن البراءة ، الرجل الأول كاذب ومزور والرجل الثاني جشع وشهواني ، ملخص المشهد إغتصاب مقنع ومقنن بورقة عليها شهود ، إغتصاب ليس في السر وإنما هو في العلن يقام له احتفال ويوزع فيه الشربات ويدعى له المعازيم إنها جريمة يشارك فيها مأذون مأجور وطبيب باع ضميره وكتب شهادة تسنين مزورة وأب عرض طفلته في مزاد ومين يزود وعريس مفجوع لا يريد زوجة وإنما يريد وعاء لتفريغ كبته وشهواته ، والضحية زهرة بريئة بنت امبارح ، كانت حتى ليلة أمس تلعب في الطين وتجرى وراء صاحبتها في الاستغماية وتبكي حين تنام في العتمة ، ولإقناعها وغسل دماغها يكفيها قطعة لبان أو عسلية ، وفجأة بين عشية وضحاها يطلب المجتمع منها أن تترك ساحة الاستغماية الفسيحة لتتمدد في سرير نوم متر في متر تحت جثة من اللحم والشحم والعرق لشبه إنسان يؤدي غرضه في ثوان ثم ينام ليغطي صوت شخيره

على نهنهات دموعها ، ويسد كرشه الأسطوري كل مسام التنفس لديها خانقاً إياها ، والمدهش أن الأهل يأتون ليلة الدخلة لتهنئتها مطالبين إياها عدم الشكوى لأن الزواج سترة وهي مجرد فتاة تدلع وتدلك وتدغدغ وتزغزغ ، والزوج إمبراطور آمر ناهي ، عليها السمع والطاعة وعليه الاستمتاع والاستنطاع !!

والزواج المبكر له أضرار صحية جسيمة "أولى المخاطر هي المخاطر الصحية كتسمم الحمل ، وفقر الدم ، وصعوبة الولادة ، والإجهاض ، وبالطبع يساهم صغر السن في فتح شهية الزوج للإنجاب المتكرر دون فاصل زمني معقول بين الولادة والأخرى مما يعرضها للإنهاك البدني ويعرض أطفالها للأنيميا والجفاف وأنخفاض الوزن والمناعة .

حادي عشر: العنف الزوجي

لم يصل كل الرجال بعد إلى مرحلة النضج الفكري والعقلي والنفسي التي تؤهلهم للتعامل مع المرأة بطريقة يغلب عليها طابع الاحترام والتقدير والإيمان بالمساواة الكاملة ، فلايزال معظم الأزواج في المجتمعات العربية يعاملون المرأة على اعتبار أنها كائن أقل من الرجل ومن ثم يوجد عنف داخل الحياة الزوجية ، ولقد أسفر بحث "المرأة الجديدة"الذي قدم لؤتمر بكين عن أن ما تعتبره النساء عنفاً موجهاً من أزواجهن يتبلور في مايلي :-

المنع من الاختلاف	**88**٪
المنع من السفر	**69**٪
المنع من الخروج	**82**٪
المعاشرة الجنسية بالإكراه	**93**٪

وتضع ناهدة دوغان مولوي تشخيصاً مبكراً للشخص المعنف (بكسر النون) فتقول : أجمع المحللون أن هناك دلائل تشير فوراً لشخصية الرجل المتسلط والذي قد يكون مشروع رجل (معنف) .

حيث يكون تشخيص الشخصية بصورة مبكرة :

* أن يكون كثير الصراخ بمناسبة أو بدون مناسبة .

* يعطي ملاحظات في غير مكانها .

* يخرج عن هدوئه بسرعة مدهشة ودائم الشك .

* يفرض القرارات ولو كانت خاطئة .

* قاس مع الأولاد قسوة ليست مبررة .

* شعاره أنا السلطة والسلطة أنا .

* إهانات لأهلها بدون سبب .

إذا حُددت بعض هذه السلوكيات بتشخيص مبكر ربما كان للحالة علاج ما وغالباً ما ينجح إلا إذا كان وضع المعنف مستفحلاً!!

ويمكننا القول أن العنف الزوجي يمكن أن يتجلى في أربعة أمور رئيسية هي :

ـ إجبار الزوجة على عدم الخروج للعمل

ـ ضرب الزوجة بغية تأديبها وتهذيبها

ـ الاغتصاب الجنسي في العلاقة الزوجية

ـ الاقتران بأكثر من زوجة

ثاني عشر: العنف ضد العانس والمرأة الوحيدة (المطلقة ـ الأرملة)

يقول الدكتور خالد منتصر "أعتقد أن لفظ العانس بما يحمله من دلالات في مصر والمنطقة العربية هو من أشد أنواع العنف المعنوي الذي يمارسه المجتمع ضد المرأة ، فالعانس خصوصاً المصرية كائن له خصائص مميزة يسبغها عليها المجتمع منذ أن تلتصق بها هذه الصفة المرعبة ، فالمجتمع ينظر إليها نظرة هي مزيج من الشفقة والخوف والسخرية ، الشفقة على حالها البائس الذي جعل القطار يفوتها ، والخوف منها فهي في نظر الجميع شخصية سيكوباتية مريضة ذات عين حاسدة ، وقلب حاقد ورغبة مدمرة في إيذاء الآخرين الذين حازوا على وسام الزواج والسخرية من عبطها وغلبها وحيلتها القليلة وفشلها في الإيقاع بعريس لقطة أو الحصول على جوازة سقع .

وتؤكد عزة هيكل نظرة المجتمع للعانس ولكل امرأة وحيدة فتقول:"إن المرأة العانس والأرملة والمطلقة توجه إليها النظرات المتحفظة ، المتسائلة ، اللوامة وأيضاً الحذرة ... إن المجتمع ينظر بعين الشك والريبة إلى كل امرأة وحيدة ويسلط عليها سياطاً قد تدفعها إلى أن تتورط في علاقة زوجية أو عاطفية تزيد من آلامها بدلاً من أن تداوي جراحها .

وقد ساهم الإعلام في اعتناقهن هذهالأفكار فالإعلام لم يترك المرأة التي لم يسبق لها الزواج رغم التقدم في العمر ـ العانس كما يطلقون عليها ـ إلا وأبرز معاناتها مع نظرات

المجتمع السلبية بطريقة منفرة ، مشيراً إليها في أغلب الأحيان على أنها معقدة إما بحقدها على من حولها أو بانزوائها بركن بعيد عن مجتمع يدينها كونها لم تتزوج ، أو بسذاجتها لتصنع منها "مهرجة" همها البحث عن عريس .

إن المرأة إنسان كامل القدرات والأهلية وهي ليست صيداً أو سلعة ، وهي بذاتها كيان يجب أن يُحترم سواء تزوجت أو لا ، لذا قالت رئيسة المؤتمر السكاني العالمي عام **1994** في الجلسة الخاصة بصحة المرأة "ليس من المعقول ونحن في نهاية القرن العشرين أن يظل هناك اختلاف في توزيع السلطة بين الرجل والمرأة وأن يبقى المفهوم السائد بأن الرجال أشد ، وأن النساء خاضعات ودورهن مقتصر على الإنجاب فقط ، صحيح أن أحد أدوار المرأة هو التكاثر لكن المشكلة الأساسية أننا نغرس مفهوماً أساسياً في أذهان النساء أن الطريق الوحيد لتكامل المرأة هو أمومتها ، وهذا خطأ فالمرأة تعد نفسها للزواج والاعتماد على ذاتها خارج إطار الزواج عن طريق سلاحي العلم والعمل فلقد انتهى زمن الزواج كسلعة" .

ثالث عشر: العنف الإعلامي

"تقدم وسائل الإعلام الأنثى على أنها مخلوق هيمان في عالم الأحلام ، وشخصية سلبية مترددة تفتقد إلى أدنى درجات التفكير العقلاني لا هم لها إلا البحث عن رجل وضله لإمتاعه الجنسي .... وتقول الدكتورة عواطف عبد الرحمن في دراسة نشرت لها عام **2000** أن **80**٪ من برامج المرأة في التليفزيون تتناول فن الطهي والحياكة والموضة وتربية الأطفال وفن الديكور وكأن هذه المسائل هي قضية المرأة الأساسية وزادها اليومي ، أيضاً تتنافس وسائل الإعلام المختلفة في تقديم المرأة غما كعقلية دونية ، وإما كسلعة تجارية تباع وتُشترى في إطار الإشهار ، بل ويلعب الإعلام دوراً رديئاً بمختلف الطرق الفنية التافهة على الجسد الأنثوي لزيادة حقنة تخدير المتلقي ، الذي هو مُخدر أصلاً بفعل الهجوم الإعلامي الكاسح ، هذا فضلاً عن النظرة السلبية التي يقدمها الإعلام للفتاة العانس والمطلقة .

رابع عشر: العنف القانوني

"وهو العنف الذي تتعرض له المرأة بسبب القوانين خاصة في مواضيع الزواج والطلاق ، تعدد الأزواج ، الحضانة ، النفقة ، الولاية ، الإرث" هذا فضلاً عما تعانيه المرأة في مجموعة من البلدان مازالت بعض قوانينها تصر على ضرورة أخذ رأي الذكر (زوج ، ابن ، ولي ....) في بعض الأمور الخاصة بالزوجة كالسفر والتجارة ، إن المرأة "في مختلف الدول العربية لازالت تعاني من وطأة قوانين مجحفة بحقها وبخاصة قانون الأحوال الشخصية ، الذي تتطابق مواده التي تحمل تمييزاً ضد المرأة في أغلب الدول

العربية مع اختلافات طفيفة بين دولة وأخرى . وعلى الرغم من أن دساتير الدول العربية تقر بمساواة المرأة مع الرجل في الحقوق والواجبات ، حسب مبدأ المواطنة ، إلا أن ذلك يتناقض تناقضاً كلياً مع الكثير من مواد قانون الأحوال الشخصية المتعلقة بحقوق الولاية والقوامة والوصاية ، وحقوق الزواج والطلاق والإرث ، وحقها في العمل والتعليم والإقامة والسفر والتنقل دون وصاية الزوج ، وحقها في صحيفة مدنية مستقلة ، ومنح جنسيتها لأولادها ، ومع قوانين العقوبات المجحفة بحق المرأة كالعقوبة المخففة في جرائم الشرف وإسقاط العقوبة عن المغتصب في حال زواجه من المغتصبة أو تشريع اغتصاب الزوج لزوجته وغيرها .

خامس عشر: العنف الاقتصادي

"ويتضمن العنف الاقتصادي حرمان المرأة من ميراثها ومن فرصة التعليم والعمل وإدارة مواردها المالية أو تجريدها منها ، وعدم مساواتها بالرجل في الامتيازات الوظيفية وفي الترقي وفرص التدريب" ويقول الدكتور عائض القرني عن هذا النوع من العنف : "أصبح مال المرأة وسيلة لابتزازها وقهرها من قبل زوج غشوم ظلوم أو والدٍ قاسٍ جاف أو أخ متمرد عاق ... لقد صار مال المرأة عبئاً عليها في كثير من الحالات فشقيت به بدل أن تسعد به" .

سادس عشر: العنف السياسي

وهو ذلك العنف "الناجم عن تلازم الدونية للمرأة كإنسانة مع حرمانها من مكانتها الوطنية ضمن الدولة الحديثة ، ويتمثل باعتبارها كائناً لا يستحق المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية لذا فإن سلب حرية المرأة في التعبير عن رأيها السياسي وعدم السماح لها بالمشاركة في صنع القرار ومنعها من حق التصويت والتصدي لمناصب في الدولة .. يعتبر من أهم مظاهر العنف السياسي وكذلك " منعها من الترشيح والتصويت لمناصب قيادية . وهذه الظاهرة البشعة بحق إنسانية المرأة لا تتقيد بحدود دولة أو قارة معينة ، بل هي ظاهرة عامة عابرة للقارات في ظل النظام الرأسمالي الطبقي والمجتمع الذكوري ، وهي محسوسة وملموس حتى في الدول الغربية المتحضرة والمدنية" .

سابع عشر: العنف المعنوي النفسي

العنف النفسي يعتبر هو المحصلة لكل أشكال العنف السابقة ، وسواء كان العنف ضد المرأة له شكل واحد ، أو عدة أشكال مجتمعة ، فمن شأنه أن يُحدث في نفسية المرأة خللاً وشرخاً ، والعنف النفسي "هو أصعب مظاهر العنف ضد المرأة حيث أنه غير محسوس ولا ملموس ولا أثر واضح له ، ويكون نتيجة إهمال المرأة وذاتيتها واحتقارها وحرمانها من الحرية وهضم حق الإختيار (اختيار الزوج ، الإختيار السياسي .....) .

"وبما أن أهم مفاتيح الإنسان الصحيح هو أن يحمل نفساً صحيحة خالية من العقد أو الأمراض والاضطرابات النفسية والتي لها أكثر الآثار السلبية على أسرته ومجتمعه وعلى إنتاجه وبخاصة في الحياة ، فكيف الأمر إذا كان أكثر من ثلاثة أرباع النساء في العالم يلقين ضغطاً نفسياً كبيراً وعنفاً نفسياً أكثر من قبل الرجال .

والحقيقة إن العنف النفسي هو من أهم آثار العنف الجسدي والعنف الجنسي ، ومن الصعب تصور عنف جسدي لا يخلق آثاراً نفسية سيئة وكذلك الأمر بالنسبة للعنف الجنسي .... مما يعني أن أنواع العنف لا يمكن فصلها فصلاً تاماً عن بعضها .

آثار العنف ضد المرأة

تقول الدكتورة هيفاء أبو غزالة :"يعتبر العنف ضد المرأة انتهاكاً لحقوق الإنسان للمرأة بحيث يمنع المرأة من التمتع بحقوقها الإنسانية وحرياتها الأساسية كالحق في الحياة والأمن والصحة والتعليم والسكن والحق في المشاركة في الحياة العامة ولهذا عواقب وأثار صحية واجتماعية وتكاليف اقتصادية .

"تترتب على العنف الممارس ضد المرآة آثار جسمية ونفسية واجتماعية تصيب المرأة وتكون لها آثارها على الأسرة والمجتمع :

أضرار جسدية ونفسية

ـ شعور المرأة بالخوف وانعدام الأمان .
ـ الحد من إمكانية حصولها على الموارد .
ـ منعها من التمتع بحقوقها كإنسان يعرقل مساهمتها في التنمية .
ـ تضخم الشعور بالذنب والخجل والانطواء والعزلة وفقدان الثقة بالنفس واحترام الذات .

أيضاً من أهم النتائج المدمرة لتبني العنف ضد المرأة ما يلي :

ـ تدمير آدمية المرأة وإنسانيتها .
ـ فقدان الثقة بالنفس والقدرات الذاتية للمرأة كإنسانة .
ـ التدهور العام في الدور والوظيفة الإجتماعية والوطنية .
ـ عدم الشعور بالآمان اللازم للحياة والإبداع .
ـ عدم القدرة على تربية الأطفال وتنشئتهم بشكل تربوي سليم .
ـ التدهور الصحي الذي قد يصل إلى حد الإعاقة الدائمة .
ـ بغض الرجل من قِبَل المرأة مما يولد تأزماً في بناء الحياة الواجب نهوضها على تعاونهما المشترك .

ـ كره الزوج وفشل المؤسسة الزوجية من خلال تفشي حالات الطلاق والتفكك الأسري وهذا ما ينعكس سلبياً على الأطفال من خلال :

ـ التدهور الصحي للطفل .
ـ الحرمان من النوم وفقدان التركيز .
ـ الخوف ، الغضب ، عدم الثقة بالنفس ، القلق .
ـ عدم احترام الذات .
ـ فقدان الإحساس بالطفولة .
ـ الاكتئاب ، الاحباط ، العزلة ، فقدان الأصدقاء ، ضعف الاتصال الحميمي بالأسرة .
ـ آثار سلوكية مدمرة من قبيل استسهال العدوان وتبني العنف ضد الآخر ، تقبل الإساءة في المدرسة أو الشارع ، بناء شخصية مهزوزة في التعامل مع الآخرين ، التغيب عن المدرسة ، نمو قابلية الانحراف .

وكذلك يترتب على العنف ضد النساء نتائج صحية :

*** نتائج مميتة :**

قتل ، انتحار ، ارتفاع معدل الوفيات بين الإناث .

*** نتائج غير مميتة :**

* الصحة الجسدية :

جروح وكسور ، خلل وظيفي ، أعراض جسدية ، صحة شخصية متدنية ، إعاقات دائمة ، بدانة مفرطة .

* الحالات المزمنة :

أعراض آلام مزمنة ، أعراض تهيج أمعاء واضطرابات معوية .

* الصحة العقلية :

ضغط ناتج عن الحالة النفسية بعد الإصابة ، اكتئاب ، قلق ، الرهاب (الخوف المرضي) اضطرابات الأكل ، العجز الجنسي ، قلة احترام النفس ، سوء استخدام الموارد .

* التصرفات المضرة بالصحة :

التدخين ، إدمان الكحول والمخدرات ، ممارسات جنسية غير آمنة ، قلة النشاط البدني ، فرط الأكل .

* الصحة التناسلية :

حمل غير مرغوب فيه ، الإيدز ، اضطرابات نسائية ، إجهاضات غير آمنة ، تعقيدات الحمل ، وانخفاض الوزن الولادي ، أمراض الالتهاب الحوضي .

موقف المسيحية من العنف ضد المرأة

ترفض المسيحية شتى أنواع العنف سواء العنف الجسدي أو اللفظي أو المعنوي كما رفض السيد المسيح مبدأ الاعتداء على أي أحد من البشر أيا كان لونه أو جنسه أو دينه أو مذهبه أو معتقده الفكري فالمسيحية ترى أن جميع البشر هم خليقة الله وجميعهم متساوون في الكرامة . والمرأة في المسيححية كما يقول الكتاب المقدس ليست من دون الرجل في شئ ولكنها مساوية له تماماً فالله سبحانه وتعالى بعد أن خلق حواء لتكون معيناً نظيره ، وكلمة نظيره تعني المساواة التامة .

موقف السيد المسيح من المرأة

"لو عدنا إلى أقوال السيد المسيح وأعماله ، نجد اهتماماً خاصاً بدور المرأة ومكانتها ... وبأسلوب عملي مباشر ، عالج السيد المسيح مكانة المرأة فرد لها احترام ذاتها المفقود ، وأدخلها إلى مجتمعاته ورفض الإساءة إليها ... ولو أننا حللنا أقوال السيد المسيح ، وأعماله ، لوجدنا أن قدراً كبيراً من خدمته وتعليمه كان في مواجهة الظلم الاجتماعي ، وعند دراستنا للإنجيل نحتاج أن نأخذ ماورد به على حقيقته وفي ضوء الواقع الذي جاء منه ، فقط دون أن نحول الواقع إلى معاني روحية غير مقصودة .

دعونا نلقي نظرة على الأناجيل لنرى كيف تعامل الرب يسوع مع المرأة عندما كان هنا على الأرض ؟ يمكننا تعلم الكثير ببساطة من خلال ملاحظة أفعال السيد المسيح وردود فعله نحو المرأة في ضوء الناموس اليهودي والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع في عهده ، ويجب أن نتذكر أنه وفقاً للتلمود كانت :

المرأة مستعبدة وملك يمين الرجل.

الناموس اليهودي هو ما ينادي بأن صوت المرأة يجب ألا يسمع في وسط العامة .

لا يمكن أن تستخدم كشاهدة في أي موقف .

"الدعوة لتحرير المرأة كانت مهمة للسيد المسيح ، أراد المسيح أن يعود بالوضع إلى مكانة المرأة في تكوين **1،2** ، ثار المسيح ضد النظم والتقاليد التي كانت معروفة في المجتمع اليهودي في تلك الأيام .

لذلك فإننا من خلال تعاليم السيد المسيح وتصرفاته يمكننا أن نكتشف القيم والمبادئ التالية التي أراد أن يرسيها :ـ

أولاً: نظر السيد المسيح إلى المرأة كإنسان وليس كشئ

لعل موقف السيد المسيح من السامرية عند البئر كان مثيراً فقد دهش التلاميذ أنه يتكلم مع إمرأة (يوحنا**27:4**) فإن الاعتراض الرئيسي كان لمجرد حديثه إلى امرأة كإنسان عادي في المجتمع ، مما كان غير متعارف عليه وبل إن حديث رجل إلى إمرأة كان يقلل من شأن الرجل ولم يكن السيد المسيح يكترث برأي الناس في هذا الشأن .

وتزداد أهمية ودلالة حديث السيد المسيح مع المرأة عند البئر في (يوحنا**3:4**) لا لأنه تحدث مع إمرأة وحسب ولكن نظراً لأنها سامرية أيضاً إذ كان بين اليهود والسامريين صراع بل وسفك دماء لسنوات . لقد خالف السيد المسيح القواعد .

أثمر هذا الحديث أن أصبحت تلك المرأة هي أول إمرأة تأتي بآخرين للمسيح ، فقد رجعت للمدينة وأخبرتهم عن ذلك الرجل الذي يعرف كل شئ عنها ومكث يسوع هناك ليومين وآمن كثيرون به .

لقد تحدى السيد المسيح كافة قوانين اليهود الاجتماعية المجحفة بحق المرأة ، وليس هذا فقط بل لقد "أشفق السيد المسيح على المرأة ، وتجاوب معها فقد أشفق على أرملة نايين وأقام ابنها ، شفى حماة بطرس ، شفى امرأة داخل الهيكل (لوقا **13** :**1-17**)عامل المرأة كما عامل الرجل بمساواة كاملة دون فرق إنه الذي وضع مبدأ (كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم <متى**12:7**>)كان لابد أن يمارس هذا المبدأ في علاقة الرجل والمرأة " .

وعندما تحدث المسيح على أن دعوته لملكوت السماوات تثير الأم ضد حماتها ، كان يتحدث عن أن أولئك النسوة اللائي بسبب الإيمان بالمسيح يدخلن في خلاف مع أقرب الناس إليهن . ولعله كان يقصد من وراء ذلك أن المرأة المسيحية ذاتية مستقلة ، تعبر عن رأيها في شجاعة ، دون الخضوع لسلطان أخر عليها .

وربط السيد المسيح بين الجنس والمرأة فقال :"إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" والسيد المسيح هنا يصف النظرة الشريرة بالزنى القلبي ، وكان ذلك إعلاناً من السيد المسيح ، لمحاسبة الرجل كالمرأة ، فقد خطا السيد المسيح خطوة للأمام على طريق علاقة الرجل بالمرأة ، فلم يطلب من المرأة أن تختبئ وراء حجاب لكي لا يراها الرجل فلا يشتهيها ، بل ترك المسيح المرأة ، دون أن تحتجب .. ولو شاهدها

الرجل واشتهاها ، لكان الرجل هو المخطئ . إنه من الظلم أن تحرم المرأة من حقوقها الإنسانية ، وأن يغلق عليها ، وأن تحرم من ممارستها الحقيقية لحياة عامة ، لكي لا يشاهدها الرجل ، فيشتهيها . فالرجل مطالب بضبط النفس .

ولنلاحظ أن السيد المسيح لم يتحدث أبداً عن ثياب المرأة أو حليها لأنه يرى أن المكلة الحقيقية ليست في المرأة مهما تزينت أو تحلت ، بل مدى تحضر المجتمع والرجل في نظرته إلى المرأة . فهل ينظر إلى المرأة كإنسان يجب أن يحترم فكره ، أم ينظر إليها كوعاء للجنس ، أهم ما يميزه هو الجسد فقط .

إن تعليم المسيح عن النظرة الشهوانية يدين نظرة الرجل للمرأة وهو يكشف ويعري الخلفية الموجودة في عقل الرجل عندما ينظر إلى المرأة ، فهل ينظر الرجل للمرأة كوعاء للجنس يشتهيه وبعد استهلاكه يلقيه بعيداً ؟ أم أن على الرجل أن يعدل نظرته إلى المرأة كشخص عاقل يحتاج إلى أن يحترم عقله ؟ "إن تركيز الأسر على ملابس بناتهم منذ نشأتهن أعطاهن الأنطباع بأن جسدهن عيب وعورة ، مما جعل الفتيات يشببن ولديهن إحساس بالنقص ، والفتاة المغطاة تماماً من هامة رأسها إلى أخمص قدميها لا تحس بكيانها ووجودها إلا في ممارسة الجنس ، لأن نظرة المجتمع إليها كعورة يجعلها تحتقر ذاتها ، ولا تجد كبرياءها إلا عندما يشتريها إنسان ما ويطلبها . ولقد نظر المسيح إلى المرأة كقيمة وكفكر وليس كمجرد جسد" .

إن المشكلة ليست في نظرة الرجل للمرأة فقط ولكن أيضاً في نظرة المرأة لنفسها ، وهذا هو الأصعب والأقسى ، فلكي نعالج العنف ضد المرأة لابد وأن ينظر كل من الرجل والمرأة إلى المرأة باعتبارها شخصاً عاقلاً وليست مجرد شئ .

ثانياً : حرر السيد المسيح المرأة من سلطان الرجل الظالم

كانت الشريعة اليهودية ي ذلك الوقت تسمح للزوج بأن يطلق زوجته لأتفه الأسباب وعلى النقيض من ذلك لم يكن للزوجة الحق بأن تطلق زوجها أبداً . لقد كانت هناك قسوة وقلق وشعور بعدم الأمان لدى النساء بسبب هذا القانون !! ولكن المسيح صرح وبوضوح بأن للزوج والزوجة حقاً أن يطلق أحداهما الآخر في حالة الزنا فقط وحتى في هذه الحالة يكون الطلاق خارج الصورة التي أرادها الله للزواج .

"نادى المسيح بعدم السماح للرجل أن يطلق امرأته إلا لعلة واحدة وهي الزنى وبذلك حرر المسيح المرأة من سلطان الرجل الذي كان يطلقها لأتفه الأسباب . كان قرار المسيح بعدم الطلاق حماية للمرأة من عبث الرجل واستقراراً للأسرة" (متى**5**:**27**،**32**)

وجدير بالذكر أن المسيح وهو يتحدث عن "امرأة تطلق زوجها" لم يكن معتاداً في تلك الأيام فقد كان من حق الزوج أن يقوم بالتطليق ، لا الزوجة فإن المسيح كان يتحدث عن "الإرادة" على أنها ذات الفعل فإن أرادت الزوجة التطليق وجعلت الدنيا مظلمة في وجه زوجها فطلقها ، فاللوم هنا على المرأة .

أراد المسيح أن يعيد العلاقة إلى ما كانت عليه قبل دخول الخطية ، رجل واحد وامرأة واحدة ، متساويين في المكانة ، متعاونين في الرسالة والعمل ، يحرصان على حياة الزوجية كل العمر .

وأروع مثال لتحرير المرأة من سطوة الرجل الظالم ، هو موقف السيد المسيح من المرأة الزانية " وتعد هذه المرأة التي أمسكت في ذات الفعل مثالاً تقليدياً لما توصل إليه المجتمع في أحكامه على المرأة .

لقد كان هناك قانون اجتماعي ظالم كان سائداً آنذاك وهو رجم المرأة الزانية حتى الموت وترك الرجل دون أية عقوبة ، ولأن اليهود المتطرفين كانوا يعلمون نظرة المسيح للنساء وكيفية معاملته لهن أرادوا أن يعرفوا ما الذي سيفعله في موقف كهذا ، فأحضر إليه عدد من رجالهم امرأة تعيسة كانت تهمتها إنها كسرت العفاف الأنثوي وأمسكت في فراش الزنى مع رجل ولم يمنعهم الحياء من أن يجروها في عنف وقوة وهي عارية أمام الملأ ليوقفوها أمام السيد الميسح في الوسط مطالبين برجمها لقد تجرد هؤلاء الرجال من كل المشاعر الإنسانية ونظروا إلى هذه المسكينة لا باعتبارها كائناً بشرياً له أحاسيس ومشاعر ولكن باعتبارها مجرد حالة يجب أن تحاكم وقالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل وموسى أوصانا في الناموس أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت انتظروا من المسيح أن يوافق على رجمها ، ظانين أنهم وضعوه في مأزق لا مخرج منه فإذا لم يوافق على رجمها يكون خائناً وعدواً للقانون ، وإن وافق فتلك ضربة كبيرة للمسيح ولمعاملته للنساء ولتعاليمه عن الرحمة والمغفرة .

وبعد لحظات من الصمت الأخاذ انحنى السيد المسيح وكان يكتب بإصبعه على الأرض وأغلب الظن أنه كان يكتب أخطاء هؤلاء الرجال ويكشف لكل منهم نفاقه ورياءه وتدينه الشكلي .

وبينما كان السيد المسيح صامتاً غارقاً في تفكيره استمروا يسألونه ويلحون في سؤالهم موسى أوصانا في الناموس أن مثل هذه ترجم . فماذا تقول أنت ؟ وهنا ألقى السيد المسيح سلاح الصمت جانباً وصوب إليهم جواباً قاطعاً شبيهاً بقذيفة ، قال لهم : هل تريدون أن تنفذوا الحكم فيها ؟ تقدموا !! ولكن ، من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر ، وهنا سقطت الحجارة من أيديهم كانت تقطر دماً !! فانسحبوا واحداً تلو الآخر ، فالتفت

المسيح إلى المرأة التي كانت محطمة من كل وجه أدبياً واجتماعياً ونفسياً وحرص السيد المسيح ألا يزيدها تحطيماً فقال لها أين هم أولئك المشتكون عليك ؟ أما دانك أحد فأجابت لا ، قال لها المسيح ولا أنا أدينك اذهبي ولا تخطئي ثانية ، ولم يدن المرأة بل غفر لها خطاياها وحررها وأقامها روحاً وجسداً ، وأعطى لها مكانتها الضائعة في عيون الناس ، أخيراً ظهر شخص ما على الساحة اليهودية لكي ينصر المرأة في ذلك المجتمع الظالم !!.

ثالثاً : سمح المسيح بتعليم المرأة

كان القانون الشفوي اليهودية يمنع النساء اليهوديات من الجلوس تحت أقدام أي شخص لكي يتعلمن الحقائق الروحية ، فأقل ما يقال عن مريم التي كانت تضع نفسها في ذلك الوضع ـ وضع الجلوس عند قدمي المعلم ـ هو أن هذا أمر غير عادي ، وقد حاول السيد المسيح أن يجعل مريم تشعر براحة ويسهل عليها الأمر عندما تحدث إلى مرثا وقال : فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها ، لقد تعارضت هذه الإجابة بصورة مباشرة مع العادات التي كانت سائدة في تلك الأيام ولكن السيد المسيح كان في خضم عملية تغيير العادات . من حوله لكي يتمم خطة الله للمرأة فقد أتى لكي "يطلق الأسرى" ومن بين هؤلاء الأسرى مريم ، لقد أحس المسيح بإنسانية المرأة ، وبكونها عنصراً حياً في شعب الله ، لذلك سمح لها بالحضور إلى مجلسه وبالتعلم منه لتتمكن من المشاركة الفعالة والإيجابية في عمل الرب .

وعندما علم المسيح الجماهير ، سمح للنساء بالحضور والتعلم فإن متى الإنجيلي يكتب إن الآكلين "كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد" فإن المسيح أراد أن يعطي "المرأة" و "الطفل" فرصة كاملة للتعليم الديني .

رابعاً : المستوى الروحي والديني للنسوة

تسجل لنا الأناجيل صوراً رائعة عن قمم المستوى الروحي من النساء ولعلنا نبدأ بالعذراء مريم أم المسيح فقد ظهر لها الملاك وأعطاها الرسالة ، يتعارض الأسلوب الذي أخبرت به العذراء مريم بشأن ميلاد المسيح الآتي بطريقة مباشرة مع وجهة النظر التقليدية التي تنادي بأن الزوج هو المسئول . فلو كانت سيادة الزوج هي النظام الذي وضعه الله منذ البداية لما كانت مريم في المقام الأول عرفت بشأن "الحدث المبارك" الآتي ، ولأرسل الله تلك الرسالة من خلال يوسف لأنه خطيبها ، وهو الشخص الذي يتسلط عليها . لكن حدث العكس إذ ظهر الملاك للعذراء مريم أولاً (لوقا**1** :**26**-**38**)، وقد وافقت مريم أن تكون أم المسيا دون أن تستشير زوجها ، ولم يعلم يوسف بالأمر إلا بعدما أصبح حقيقة (متى**1**: **18**-**25**) .

وفي الأناجيل سجل كثير من النساء اللائي أخذن رسالة الإنجيل من المعلم ، السامرية ، مريم أخت مرثا ولعازر ، وغيرهن كثيرات وهناك كثيرات كن يخدمن السيد المسيح من أموالهن يونا امرأة خوري ، وكيل هيرودس ، سوسنة وأخريات من هؤلاء من كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض ، مريم التي تدعى المجدلية التي أخرج المسيح منها سبعة شياطين والمرأة الخاطئة التي قال عنها السيد المسيح "غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً والذي يغفر له قليل يحب قليلاً" .

وكان دور المسيح مع "نازفة الدم" دوراً خاصاً . فإن النزيف الدموي للمرأة كان يوصف لدى اليهود بالنجاسة . وقد سمح لها المسيح بأن تلمسه وقال لها : إيمانك قد شفاك .

لكن السيد المسيح تغاضى عن هذه القوانين عندما تعامل مع المرأة في هذه القصة أكد لها إيمانها إن ما تحتاجه هو أن تلمس ثوب يسوع وعندها ستشفى . عندما فعلت هذا هل وبخها يسوع وسألها لماذا لم تتبع ناموس اللاويين المتعلق بالنجاسة ؟ هل ذكر إنها يجب ألا تختلط بالجموع ؟ لا ! ولكنه شفاها ودعاها "أبنة" واعترف بإيمانها .

خامساً : قبل السيد المسيح اتباع المرأة له

لم تكن العادة لربي يهودي أن يسمح لإمرأة باتباعه، كما كان يرفض الحديث إلى امرأة إلا أن إتباع النسوة للمسيح ، لم يكن لمجرد الإستماع ، بل للتلمذة .

سادساً : قبل السيد المسيح خدمة المرأة

فهناك المرأة التي سكبت عليه قارورة الطيب ، وذكر أن هذه المرأة يسجل اسمها في سجل الخالدين . بل أن كثيرات كن يخدمنه من أموالهن .

خدمت مرثا السيد المسيح وكانت تعد له الطعام ، حماة بطرس قدمت له الطعام مريم أخت مرثا ولعازر تعبدت له . النسوة تبعنه عند الصليب ، وكن أول من ذهب إلى القبر في فجر القيامة .

سابعاً : المرأة ضمن تلاميذ المسيح ورسله

عندما اختار تلاميذه الأثنى عشر اختارهم كلهم من الرجال وكذلك الرسل . لقد كان المجتمع اليهودي يرفض شهادة المرأة . وكان على التلاميذ أن يشهدوا لقيامة المسيح . فقد كان من المهم لتحقيق الرسالة ألا يضع العراقيل التي تعيق الشهادة الكاملة ، لقد رفع المسيح قدر المرأة .

والمقصود "برفع قدر المرأة" ، أنه أعادها إلى قصد الله في الخليقة بالنسبة لها لتكون مساوية للرجل ، ولهذا فإن دور المسيح كان ثورة على الظلم الإجنماعي ، الذي دخل الخليقة منذ حدث السقوط (تكوين**3**) حتى مجيئه على الأرض .

لقد ثار السيد المسيح على عدد من القوانين اليهودية والعادات فيما يتعلق بالمرأة :

شجع المرأة على أن تتعلم منه .

تحدث مع المرأة علانية .

لم يوبخ المرأة النجسة التي لمسته .

لم يوبخ المرأة التي تحدثت أمام الناس (بتسبيح الله) .

منع رجم الزانية .

تحدث مع امرأة سامرية .

أوصى امرأة أن تذهب وتخبر عنه .

هل من علاج للعنف ضد المرأة ؟!!

"يرتبط القضاء على العنف ضد المرأة العربية ، بعملية تشاركية بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني ، ولا يقتصر الحد من العنف ضد المرأة على تعديل القوانين التي تحمل تمييزاً ضدها ، وتطبيق قانون أسرة بديل يحفظ حقوق جميع أفرادها ، رغم كونه الحجر الأساس لحماية المرأة من العنف ، بل يشمل نشر ثقافة بديلة ، تعتمد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، وتمكين المرأة وتعليمها ، وتوفير الخدمات الصحية لها ، وتأمين جميع الظروف الملائمة لمشاركتها مشاركة حقيقية فاعلة في جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومكافحة الاتجار بجسدها .

ولن يحدث أن تأخذ المرأة كافة حقوقها إلا :

باقامة دولة مدنية وفق مفاهيم أن المرأة والرجل متساوين في الحقوق بشكل متوازن ، ولا وصاية للرجل على المرأة تحت أي ذريعة كانت .

إقامة الدولة العلمانية المحايدة بين جميع العقائد والمفاهيم .

تغيير القوانين وفق المفاهيم الحديثة ، أي قوانين المجتمع المدني المستمدة من الشريعة الدولية /الأمم المتحدة .

تغيير مناهج التعليم منذ مرحلة رياض الأطفال ، وإلى أخر صف في المرحلة الإعدادية (**High School**) تدرس مفاهيم حقوق الإنسان إن المرأة هي نصف المجتمع والأم لكل المجتمع .

يجب أن يكون للجامعة في دول العالم النامي دور أوسع وأكبر من جامعات الدول المتقدمة ، من حيث إعطاء دروس عن المهنية والسلوكية لكل كلية والتأكيد على قوانين حقوق الإنسان .

تخصيص يوم عالمي لمساواة المرأة بالرجل وأن تكون المساواة متوازنة .

دعم الحملة العالمية لوقف الظاهرة وفضح مرتكبيها ومعاقبة الدول التي يمارس فيها العنف ضد المرأة .

دعم الحركات النسوية والمناهضة لعنف المرأة في تصعيد وعي المجتمع ووعي المرأة بحقوقها الكاملة .

سن قوانين صارمة ضد مرتكبي جرائم الشرف .

فصل الدين عن الدولة الذي سيسهم كثيراً في الحد من العنف ضد المرأة .

سن قوانين عمل تضمن المساواة في أماكن العمل من حيث الأجر وساعات العمل ، إضافة على الأخذ في الاعتبار عطل فترات الحمل والولادة وتوفير ظروف عمل أفضل لها .

التوعية المستمرة عبر وسائل الإعلام ضد ظاهرة العنف ضد المرأة ومن أجل استكمال ممارسة حقوقها كاملة غير منقوصة .

مكافحة عملية المتاجرة بجسد المرأة وعمليات الاختطاف والتهريب للمرأة ومكافحة ظاهرة البغاء القسري عن طريق توفير الوسائل المعيشية والاقتصادية لبائعي الجسد ومعاقبة السماسرة .

تفعيل دور القضاء والحد من ظاهرة الإفلات من العقاب والتسليم باحتياجات الاتجاهات والممارسات الضارة وتعليم الأطفال وهم مازالوا في كنف أمهاتهم أن العنف ضد المرأة والفتاة خطأ وتلعب المدارس دورا في تعزيز المساواة بين جميع البشر ذكوراً أو إناثاً في القيمة والكرامة الأصلية .

لابد من تنقية التراث برمته من الشوائب الظالمة للمرأة .

لابد من تنقية الكتب الدراسية من الصور النمطية للمرأة الخانعة التابعة .

تصحيح ثقافي واسع تشارك فيه جميع وسائل الإعلام لبيان المفاهيم الصحيحة المتصلة بعلاقة الجنسين .

وجود مراكز للتوعية الأسرية والإرشاد الأسري يسهل على المرأة المعرضة للعنف الاتصال بها لإرشادها إلى كيفية التصرف في المواقف المختلفة .

كما لا يمكن القضاء على العنف ضد المرأة في ظل التصور الخاطئ لدى البعض بأن القضاء على العنف ضد المرأة ما هو إلا مفهوم مستورد من الغرب ، فحين يتحدث بعض نشطاء حقوق الإنسان عن مناهضة العنف ضد المرأة يخرج من يقول :"إن هذه الأفكار ناتجة عن الغزو الثقافي الغربي والدعوات العلمانية " وفي ظل هذه الأفكار التي يروجها بعض المتطرفين الذين يزعمون أنهم متمسكون بالثوابت ، وأنهم يدافعون عن الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية ، لا يمكن أن نخطو في عالمنا العربي خطوة للأمام لذا لابد أن ندرك أننا بفضل وسائل الاتصال الحديثة ، وبفضل الفضاء النتي وسرعة تداول المعلومات ، أصبحنا نعيش في ظل حضارة إنسانية واحدة ، وأن حقوق الإنسان أصبحت ديناً عالمياً لابد أن يؤمن به جميع البشر ، على اختلاف أديانهم وألوانهم ، وعلى تنوع مشاربهم ومذاهبهم ، وهذه الحقوق لا تقبل التجزئة بأي حال من الأحوال .

إن العنف ضد المرأة (الزوجة ، والأخت ، والابنة) ، "قصة قهر وظلم طويلة ابتدأت ربما مع ظهور الحياة ... ظلم وجرح طال كثيراً. هذا الكائن اللطيف الذي يمسح دموعنا ويربينا ويعدنا للحياة ... المرأة هي مدرسة الحياة . والمدرسة تحتاج إلى دعم وعون ومساعدة ، تحتاج القوة اللازمة لاستمرارالحياة .. كيف لها أن تعطي القوة وهي لا تملكها ؟ كيف لها أن تحسن التربية وهي لم تتعلم كيف تربي وكيف تغرس المفاهيم الأخلاقية ؟ كيف لها أن تعمر النفوس وهي منكسرة بزواج رجلها من غيرها ، وباتهامها بنقص عقلها وعدم كفاءتها ؟

المصريون القدماء والمرأة ... مصر التي كانت وأصبحت !!

في عصور ما قبل التاريخ ، كانت المرأة تعمل في الزراعة عندما كان الرجال يذهبون للصيد ، وكان الرجل مع المرأة يذهبان للعمل . يظن أن المرأة أول من مارس العمل الحرفي :كالغزل والنسيج ، وصنع الآنية الفخارية ، بل هناك من يذهبون إلى القول بأن هذه الحرف في الأصل اكتشافات نسائية .

ومن المعروف أن حضارة مصر من أقدام وأعراق حضارات العالم القديم اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، وكان للمرأة مقام ممتاز عند قدماء المصريين فكانت المرأة تعقد العقود وتقوم بالأعمال التجارية وتنهمك في المور السياسية وتتولى المناصب القيادية ... بينما عند بعض الهنود القدماء كانوا يدفنون المرأة حية مع زوجها عند وفاته ، وعند

بعض الالمان القدماء كانوا يقامرون بزوجاتهم عند لعب النرد ، وعند بعض الصينيين إذا توفى زوج المرأة تظل أرملة طول حياتها ولا يجوز لها أن تتزوج . وتأكيداً لعظمة المرأة المصرية ، يقول الدكتور القس فايز فارس :"وتدل الآثار على اعتزاز المصري بزوجته ومحبته لها . ويعتبر مقام المراة في مصر القديمة أسمى من مقامها في أي حضارة أخرى في وقتها" .

ونرى في شهور السنة الفرعونية والقبطية اهتماماً كبيراً بالمرأة ، فمثلا ص شهر هاتور هو مسمى من "حتحور" ربة الجمال ، وشهر برمودة مسمى من "رانونة" أو "رع نينيت" ربة حسن الحظ والحصاد.

ولدينا مثال لذلك إيزيس ، فقد أطلق عليها أو بالحري لقبت بأمر من الجميع (مرأة النساء) ومن دلائل حب المصريين لها ما قيل عن دموعها التي ذرفتها على زوجها بأنها هي التي سببت فيضان النيل الذي يروي الأرض ، وخارج مصر لقبت إيزيس (بالأم العالمية) .

ولم يكن من الغريب أن تتولى المرأة في مصر الفرعونية مناصب عظيمة مثل : القاضيات والكاهنات والملكات .

وكانت المرأة تصور جالسة إلى جواز زوجها دليل مساواتها به .

وكانت المرأة المصرية قادرة تماماً على إجراء كافة التصرفات القانونية دون إذن وليها سواء كان والدها أو زوجها إذا كانت متزوجة ، وكان لها ملكيتها الخاصة ، ويمكن التعاقد باسمها ، وكانت حريتها في التعاقد مطلقة ، وكانت كاملة الأهلية ، ولها الحق في اختيار من تشاء زوجاً لها فلا تجبر على الزواج بدون رغبتها وكانت محبوبة من زوجها وتلقب " بنت بر" أي ربة بيت .

"وهناك قصة مصرية قديمة تحكي أن أحد الأزواج صدر عليه حكم بالجلد لأنه سب زوجته فأصدر القاضي حكماً بجلد الزوج مائة جلده ، كما قضى بحرمانه من نصيبه من المال الذي كسبه بالاشتراك معها إذا عاد إلى سبها".

وتأكيداً على مكانة المرأة المصرية يقول الدكتور القس صموئيل حبيب :"كان للمرأة في العصر الفرعوني دور مناسب . فإن المرأة في فترات متعددة ، وصلت إلى السلطة . في الدولة الفرعونية القديمة كان للمرأة حقوق تعادل ـ تقريباً ـ حقوق الرجل بما في ذلك حقوق الميراث . كان تعدد الزوجات نادر الحدوث ، وكان الطلاق من الأمور المرذولة . في الأسرة الخامسة الفرعونية طرأ تعديل ، حيث أبيح تعدد الزوجات ، وبدأ خضوع المرأة لأكبر أبنائها الذكور . في العصور الفرعونية مارست المرأة كل الأدوار : ملكة

كاهنة ، راقصة ، إلى غير ذلك . عندما مارست المرأة الكهانة ، اشتركت في الترتيل والتوقيع على الآلات الموسيقية والرقص الديني .

وتؤكد الدكتورة أنجيل بطرس أن :"القانون المصري القديم كان عطوفاً على المرأة ، كانت المرأة تعتبر مساوية للرجل وعند الزواج كان الزوج يعطي زوجته ثلثي ممتلكاته ، أما الزوجة فكان يُسمح لها بالاحتفاظ بنصيبها الذي ورثته عن أسرتها ولها حرية التصرف في ممتلكاتها ، وقد حظى نساء تلك الفترة من تاريخ مصر باحترام عظيم داخل المنزل وبقدر كبير من الحرية خارج المنزل ، كانت المرأة المصرية كعاملة تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل وكانت المرأة مرتبطة بالأرض ونتاجها ودورة الحياة ، وكانت المرأة المصرية تتمتع بمهارة خاصة في النسيج وصنع السلال وكانت تحمل منتجاتها التي تصنعها إلى السوق وتبيع وتشتري المنتجات أو البضائع ويستمتعن بالرقص والغناء والموسيقى ، وشغلت المرأة المصرية القديمة مكانة مرموقة في السياسة والحكومة ، فقد جلست على العرش ، وكان الرجال راضين بأن تقوم ملكات بالحكم ، ويمارسن السلطة كحق لهن وكانت فترات حكمهن تتميز بالعدالة والتقدم والاستقرار .

واضح من كل ما تقدم أن "المرأة احتلت مكانة مرموقة في عصر الفراعنة ، ولكن مع دخول الرومان ، وفي العصر القبطي ثم العصر الإسلامي ، إنحسر دور المرأة " .

فقد ارتفع عقل مصر وارتفع قلب مصر في الجيزة في تلك الأهرامات الخالدة ، ليشهد العالم على مجد وحضارة أم التاريخ البشري كله ، والتي يعود إليها الفضل في تقدم وتطور العالم كله . فقد انبثق نورها ووصل إلى كل بقاع الدنيا . ووقف العالم مذهولاً أمام تلك الحضارة العميقة التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ . وكيف لا يكون هذا هو وضع حواء ومكانتها في أرض الحرية والحضارة والمجد القديم ، ولماذا لا يرتبط بالحاضر ؟ ولماذا لا تعلو مكانة حواء في مصر الآن ؟ لتعود لأمجادها مثلما كانت في الماضي البعيد . ونحن أحفاد الأجداد نفخر بكل ما صنعه أجدادنا في أعماق التاريخ قرابة سبعة آلاف سنة ..... ونحن أحفاد بناة الأهرام في سالف الدهر . فلماذا لا نكون خير خلف لخير سلف ؟ ولماذا لا يتكرر ظهور الشخصيات النسائية العظيمة أمثال حتشبسوت ، ونفرتيتي ، ونفرتاري ، وكيلوباترا، شجرة الدر، وغيرها من السيدات المصريات اللائي دخلن التاريخ من أوسع أبوابه ، وكتبن فيه أنصع الصفحات . فلعلنا نأخذ من تاريخنا درساً .

إن ما يحدث على الساحة الفكرية والثقافية من انتشار لأفكار رجعية تنادي بعودة المرأة للبيت ، أو بأنها لا تصلح لأن تكون قاضية أو رئيسة جمهورية أو ... أو ..... وغيرها من مثل هذه الأفكار التي يرددها البعض بين الحين والآخر ، والتي كانت تتردد منذ قرون خلت وقد عفا عليها الزمن من زمن ، كل هذا يجعلنا نتساءل : ماذا حدث لمصر؟

ومن الذي غير أفكار المصريين تجاه المرأة ؟ ومن الذي نقب عقول المصريين فجعلهم يطالبون بعودة المرأة إلى البيت ، وأنها لا تصلح لتولي بعض المناصب ؟ هل لنا أن نجيب بشجاعة : من الذي سرق عقل مصر ؟؟؟

أعتقد أن شجاعة الإجابة على السؤال السابق تنقذنا مما نحن فيه من انحطاط وهوان .

وإذا كان مقام المرأة في مصر القديمة أسمى من مقامها في أي حضارة أخرى في وقتها ، فماذا حدث الآن ؟؟؟

إننا نحتاج إلى لحظة صدق مع أنفسنا لنشخص الداء ، ونرضى بالدواء

هذا إذا أردنا بالفعل وبحق أن نلحق بركب التقدم وقطار الحضارة

هل آن الأوان لأن نتعلم من العالم الراقي من حولنا

فنحترم المرأة ، والطفل ، والمعاق ؟

ألم يحن الوقت لأن نقف بجوار المهمشين ، والضعفاء ، والفقراء ، والبؤساء

حتى نصبح أكثر رقياً ، وأكثر حضارة ،

وأكثر تقدماً ، وأكثر إنسانية ؟

فهل نحن فاعلون ؟؟؟؟